

اختطاف الجنرال

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ اختطاف الجنرال ..

انهمك الجنرال (أسكار) فى ترتيب مجموعة من الأوراق الهامَّة ، داخل حقيبته الجلديَّة الفاخرة ، وهو يجلس خلف مكتبه الأنيق ، فى فيلاَّ صغيرة منعزلة ، تحيط بها حديقة غنَّاء تزخر بالأشجار والزهور ، وتذكَّر فى ارتياح أنه سيغادر مصر فى الغد ، فى طريقه إلى (باريس) ، للالتقاء بأعضاء التنظيم الجديد الذى سيحوز رياسته ، والمسمَّى بـ (منظمة النّضال الحرّ) ..

وعادت به الذكرى إلى البداية ، وتذكَّر كيف شارك الجنرال (كاميرو) ذلك الانقلاب الأخير ، الذى أطاح بحكم الرئيس الدكتاتور السابق (جونار) ، وكيف كانت تدور أحلامهم ــ آنذاك ــ حول تحقيق الحرية ، والديموقراطية ، والإصلاح الاقتصادىّ ، وكيف كانت آمالهم عريضة فى إنقاذ شعبهم (لوتشيا) من تلك الحياة البائسة ، التى يعانون شظفها فى وطنهم (*) ..

(*) أسماء الشخصيات والدول من خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالواقع .

وتبخرت كل تلك الأحلام والآمال عندما اعتلى (كاميرو) مقعد السلطة ، وتحوّل الثائر السابق إلى طاغية ، أشد بطشًا وإرهابًا وفسادًا من سابقه ، وأخذ بعد تولّيه السلطة يسعى للتخلص من أعوانه وزملائه ، الذين شاركوه ثورته وانقلابه ، واحدًا بعد الآخر ، ودبّر لهم الدسائس والمؤامرات ليزُجَّ بهم فى السجون والمعتقلات ، خاصة أولئك الذين عارضوه ، وانتقدوا أسلوب حكمه وإنكاره لوعوده السابقة ، التى غامروا بانقلابهم من أجلها ..

وكان هو (أسكار) على قمة هؤلاء ، وتعرّض لبطش وإرهاب(كاميرو) ، الذى كان يلقبه فى الماضى برفيق النّضال والكفاح ، والصديق المخلص الوفى ..

وتذكّر كيف نجح فى الفرار بأعجوبة من مؤامرة محكمة ، دبّرتها له مخابرات (كاميرو) ، للزّج به فى معتقل (جدوان) الرهيب ، وكيف نجح فى الوصول إلى مصر ، طالبًا منحه حق اللجوء السياسى ، وكيف منحته هذه الدولة الكريمة رعايتها وحمايتها ..

وعلى الرغم من أنه من المحظور عليه ممارسة أى نشاط سياسى داخل مصر ، كما تنص على ذلك القوانين المصرية ،

إلّا أنه نجح ، عن طريق أحد أعوانه المقيمين فى (باريس) ، فى تشكيل جبهة معارضة وطنية ضد نظام حكم الجنرال (كاميرو) ، وقامت هذه الجبهة بممارسة نشاطها سرًّا وعلانيةً ، لإسقاط هذا النظام الدكتاتورىّ ، الذى يرأسه (كاميرو) فى (لوتشيا) ..

وأخيرًا ، وبعد طول انتظار ، تقرّر أن يلتقى أعضاء التنظيم المعارض بزعيمهم للمرة الأولى ، فى مكان ما بقلب (باريس) ..

وانتاب الجنرال (أسكار) مزيج من المشاعر المتناقضة المختلفة ، إزاء هذه الرحلة ، وذلك اللقاء المرتقب ، فلقد خامره إحساس بالقلق والتوتُّر ، وشعور خفىّ بالسعادة والغِبطة ، فها هو ذا سيلتقى أخيرًا بمواطنيه الأحرار ، الذين اختاروا النضال والعمل الوطنى طريقًا لهم ، وسينفض عن نفسه ذلك الشعور الكئيب بالملل والسلبية ، لاضطراره إلى العزلة والراحة المفروضة عليه فى مصر ، بينما يخاطر أفراد التنظيم الذى يعمل تحت إمرته بحياتهم ؛ لمحاربة ذلك النظام الفاسد ..

ولقد كان يعلم فى الوقت ذاته أن مخابرات (كاميرو) تجدّ فى أثره ، وأنهم يجاهدون من أجل اختطافه أو قتله ، منذ فراره إلى

مصر ، ولقد تلقَّى هو عشرات التحذيرات فى هذا الشأن ، من المباحث والمخابرات المصرية ، وكان بعضها سببًا فى تأجيل سفره إلى (باريس) عدة مرات ، ولكنه عقد العزم هذه المرة على السفر ، مهما كانت المخاطر والعقبات ، خاصةً أنه يثق فى ترتيبات الأمن ، التى اتخذتها الأجهزة المصرية لحمايته ، فى أثناء توجهه إلى مطار القاهرة ، وكذا تلك الترتيبات التى أعدها رجاله عند استقباله فى مطار (أورلى) فى (باريس) .

وابتسم فى ارتياح وهو يتذكَّر كل ذلك ، دون أن يخطر بباله لحظة أن خطة اختطافه قد بدأت ، وأن خصومه على بعد أمتار قليلة من مجلسه ..

* * *

توقَّفت سيارة زرقاء فاخرة أمام الفيلَّا التى يقيم فيها (أسكار) ، وغادرها شخص طويل القامة ، تلوح الصرامة فى ملامحه ، وفى زىّ رجال الشرطة الذى يرتديه ، وأشار الرجل إلى أحد رجال الأمن من خلف البوَّابة الحديدية ، فهُرِعَ إليه رجل الأمن ، وعيناه تتعلقان بالرتب المعلَّقة على كتفى الزائر ، الذى قال له فى لهجة من اعتاد إصدار الأوامر :

ـــ أنا العميد (صلاح محرَّم) ، من إدارة أمن المطار ، وأريد مقابلة الجنرال (أسكار) فى مهمة عاجلة .

ارتبك رجل الأمن ، وهو يغمغم فى تلعثم :

ـــ معذرة يا سيِّدى ، ولكننى لم أتلقَّ أية أوامر فى هذا الشأن .

عقد الزائر حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول فى لهجة محتدَّة :

ـــ أوامر ؟!.. لقد أوضحت لك من أنا ، وعليك تنفيذ أوامرى دون مناقشة .

ازداد ارتباك رجل الأمن ، وتضاعفت حَيْرته وهو يحاول التوفيق بين الأوامر التى تلقَّاها مسبقًا ، وتهدئة ثائرة الزائر ، الذى يفوق رئيسه المباشر رتبةً ، ثم زفر فى استسلام ، وهو يفتح البوَّابة مغمغمًا :

ـــ إننى أنفذ الأوامر يا سيِّدى ، وهى تقضى بعدم السماح لأى مخلوق بمقابلة الجنرال (أسكار) دون إذن مسبَق ، وأنا أستميحك عذرًا فى أن تنتظر هنا لحظات ، حتى يتم الاتصال برئيسى هاتفيًا و ....

لم يتم رجل الأمن حديثه ، فقد اتسعت عيناه فى دهشة ، وتراجع فى حِدَّة ، حينما رفع العميد الزائف فى وجهه فجأة مسدَّسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ آسف ، فأنا لا أتميَّز بالصبر .

حاول رجل الأمن أن يلتقط مسدَّسه ، أو يبتعد عن طريق الفوّهة القاتلة ، إلَّا أن رصاصة العميد الزائف كانت أكثر سرعة ، واستقرَّت فى صوت مكتوم فى رأس رجل الأمن ، الذى جحظت عيناه ، وسقط جثة هامدة .

وبإشارة من يد العميد الزائف ، قفز من السيارة أربعة أشخاص ، يتَّشح كل منهم بثياب سوداء قاتمة ، واندفعوا داخل الفيلَّا ، وكل منهم يحمل مسدَّسًا ..

لقد بدأت عملية الاختطاف ..

* * *

تحرَّك الرجال الأربعة فى خفة وسرعة ومهارة ، وكان من الواضح أنهم يسيرون وفقًا لخطة محكمة مدروسة ، فقد كان كل منهم يعرف دَوْره جيِّدًا ، دون الحاجة إلى تبادل كلمة واحدة ، فقد أسرع أحدهم نحو الكاميرات التليفزيونية المخفاة بين الأشجار ، وأتلفها بعدد من رصاصاته المكتومة ، فى حين أصاب الثانى خطوط الاتصالات الهاتفية ، وأفسد الثالث الكابلات الرئيسية للتيار الكهربى ، فساد الظلام التام المكان ..

أمّا الرجل الرابع والعميد الزائف فقد اتجها فى خِفّة وسرعة

إلى الفيلَّا ، وألقيا بعض الخُطَّافات المعدنيَّة نحو نوافذها ، ثم أسرعا يتسلّقان تلك الحبال المطَّاطيَّة القوية ، التى تتدلَّى من أطراف الخطافات .

وأسرع رجال الأمن إلى حديقة الفيلّا ، وهم يحملون أسلحتهم ومصابيحهم اليدوية ، بعد أن أنبأهم ما شاهدوه من خلال الكاميرات التليفزيونية قبل إتلافها بمعنى ما يحدث ، ولكن هؤلاء المقتحمين استغلّوا الظلام الدامس ، وأصابوا بعض رجال الأمن برصاصاتهم المكتومة ..

وتنبَّه الجنرال (أسكار) لما يدور فى حديقة الفيلّا ، فقفز إلى مكتبه ، والتقط من أحد أدراجه مسدَّسًا قويًّا ، وأسرع إلى النافذة وقد قرَّر الدفاع عن نفسه حتى الرمق الأخير ..

وفجأة اقتحم العميد الزائف النافذة ، وانقضّ على الجنرال ، والتحما فى قتال عنيف ، وتمكَّن الجنرال (أسكار) ، على الرغم من فارق السن بينه وبين مهاجمه ، من دفع خصمه بعيدًا ، ثم التقط مسدَّسه الذى سقط مع بدء الهجوم ، وصاح وهو يصوِّبه إلى خصمه :

— ليس من السهل التغلُّب على رجل مثلى أيها الوغد .

نهض العميد الزائف فى هدوء ، وهو يقول فى برود :

ـــ دعك من الحماقة يا جنرال (أسكار) ، فنحن لا نبتغى إيذاءك .

عقد الجنرال حاجبيه فى غضب ، وأراد أن ينطق بكلمة ما ، إلَّا أن الرجل الرابع انقضّ عليه فجأة من الخلف ، وأحاط أنفه وفمه بمنديل تفوح منه رائحة مخدّر قوىّ ، وحاول الجنرال أن يقاوم وأن يوقف أنفاسه ، حتى لا يتسلّل المخدّر عبر أنفه إلى عقله ، إلَّا أنه لم يلبث أن شعر بدوار يكتنفه ، وتراخى جسده ، وسقط بين يدى أعدائه ..

وتمّ الاختطاف ..

* * *



٢ ـــ التحدى ..

انطلقت صرخة مدوّية فى ردهة التدريبات الخاصة بالمكتب رقم (١٩) ، وانقضّ صاحبها على (ممدوح) مسدّدًا له ضربة قوية بقبضته ، ولكن (ممدوح) تفادى الضربة فى براعة ، وتلقّاها على ساعده ، واستعان بكل ما اكتسبه من مرونة ورشاقة وحنكة ، ليتفادى عددًا من الضربات المتتالية ، التى توجّهت نحوه فى سرعة خاطفة ، ثم أمسك بقبضة خصمه فى مبادرة رائعة ، ودفعه إلى الخلف ، فى نفس اللحظة التى اعترض فيها ساق خصمه بساقه ، ففقد خصمه توازنه ، وسقط أرضًا ، وهنا انحنى (ممدوح) فى حركة مباغتة ، وتفادى ضربتين قويتين من مهاجمَيْن انقضا على ظهره ، وقفز ملتقطًا عصا خشبية من جراب معلّق على الحائط ، ليتلقى عليها ضربات عصىّ المهاجمين ، ثم يكر عليهما فى بأس ومهارة ..

وهنا انطلق صوت فى طرف القاعة يقول :

ـــ رائع .. رد الفعل لديك ممتاز .

توقّف القتال ، وألقى الجميع عصيهم وهم يتبادلون ابتسامة مرحة ودودًا ، وعاون (ممدوح) خصمه الذى سقط أرضًا على

النهوض ، ثم اقترب من مدرِّبه ، الذى ربّت على كتفه ، فى إعجاب ، وهو يقول :

ـــ إنك تمتلك أعصابًا قوية ، وغريزة رائعة ، فلقد واجهت كل الهجمات بما يتناسب من ردود أفعال ، على الرغم من كونها مفاجئة متعاقبة ، وهكذا ينبغى أن يكون رجل العمليات الخاصة .

ممدوح :

ـــ إن لعابى يسيل لمزيد من هذه التدريبات ، فهل يبدأ الاختبار الثانى ؟

المدرِّب :

ـــ لا .. إنك لن تستكمل تدريباتك اليوم ، فسيادة اللواء يريدك فى مكتبه على الفور .

وابتسم فى حنان أبوى ، وهو يستطرد :

ـــ يبدو أنها مهمة خاصة جديدة ..

* * *

طرق (ممدوح) باب مكتب اللواء (مراد) ، ثم دلف إلى الداخل فى هدوء ، وتعلّق بصره باللواء (مراد) ، الذى جلس خلف مكتبه ، يقلّب بين يديه مجموعة من الصور ، وهو

واضح التجهم والعبوس ، وقبل أن يبادره (ممدوح) بالتحية ، أشار إليه أن يجلس فى مواجهته ، وظلّ على صمته الذى دام مدة دقائق ، دون أن يحاول (ممدوح) مقاطعته ، حتى خرج اللواء (مراد) أخيرًا عن صمته ، ودفع الصور نحو (ممدوح) قائلًا :

ـــ افحص هذه الصور ، وقل لى ماذا تعنيه بالنسبة إليك ؟

التقط (ممدوح) الصور ، وأخذ يفحصها فى هدوء ..

كانت واحدة من الصور لرجل بدين قصير الشعر ، له عينان ضيقتان ، وحاجبان كثيفان ، وملامحه توحى لمن يراها بالشراسة والكراهية والعنف . أما باقى الصور فقد بدت وكأنها لمبنى واحد ، من زوايا ومسافات مختلفة ..

وأعاد (ممدوح) الصور إلى اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـــ لست أدرى أى شىء عما تحويه هذه الصور يا سيِّدى .

التقط اللواء (مراد) صورة الرجل البدين ، وقال وهو يضعها أمام عينى (ممدوح) :

ـــ هذه الصورة لرجل يُدْعَى (ماركو) ، يلقَّب فى بلاده بـ(ماركو الرهيب) ؛ فهو مدير جهاز المخابرات المعروف باسم (الدرع الحديدى) ، التابع للجنرال (كاميرو) .

ممدوح :

ـــ رئيس جمهورية (لوتشيا) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. أما باقى الصور فهى لمبنى واحد ، وهو معتقل (جدوان) .

ممدوح :

ـــ لقد سمعت الكثير عن هذا المعتقل ، فهناك العديد من الروايات عن الفظائع التى ترتكب داخله ، وعن آلات التعذيب الشيطانية التى يمتلئ بها ، والتى يتلظى بها من يرسل به سوء حظه إليه .

اللواء (مراد) :

ـــ من المؤسف أن كل ماسمعته لا يبلغ تلك المعلومات المتوافرة لدينا ، عن هذا المعتقل الرهيب يا (ممدوح) ، فوسائل التعذيب المستخدمة هناك تفوق أبشع مايمكن تخيله ، كما أنه يشبه قلعة حربية ، أو حصنًا منيعًا يستحيل اختراقه .

ممدوح :

ـــ هل هناك علاقة بين ذلك ، واختطاف الجنرال (أسكار) ، زعيم جبهة المعارضة فى (لوتشيا) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ بالطبع .. أنت تعلم أن (أسكار) كان لاجئًا سياسيًا فى مصر ، والمفروض أن الدولة التى تمنح حق اللجوء السياسى لديها من القدرة والقوة مايكفى لحماية من تمنحه هذا الحق ، ونحن فى مصر لنا سمعة طيبة للغاية فى هذا المجال ، ولكن مخابرات (ماركو) أصابتنا فى الصميم ، حينما نجحت فى اختطاف زعيم المعارضة فى (لوتشيا) من قلب مصر ، على الرغم من كل إجراءات الأمن التى اتخذناها لحمايته ، وهكذا أصبح الأمر يتعلَّق بهيبة الدولة وكرامتها ، وقدرتها على بسط حمايتها على من يلجئون إليها ، وعلينا أن نواجه هذا التحدى السافر ، الذى ربح جولته الأولى جهاز مخابرات (ماركو) ، كما أن علينا أن نثأر لرجال الأمن المصريين ، الذين فقدوا أرواحهم وهم يؤدون واجبهم لحماية الجنرال (أسكار) ، والوسيلة الوحيدة التى يمكننا بها مواجهة هذا التحدى ، واستعادة كرامة وسمعة أجهزة الأمن المصرية ، هى أن نعيد الجنرال (أسكار) ، إلى مصر ، أو نخلِّصه من بين أيديهم على الأقل ، حتى نؤكد أننا لا نتخلَّى أبدًا عمَّن نمنحهم حق الرعاية والحماية .

ممدوح :

— ولكن هل نحن واثقون أنه ما زال على قيد الحياة ، وأن الجنرال (كاميرو) لم يتخلَّص منه بعد .

اللواء (مراد) :

— نعم .. إن لدينا مصادر للمعلومات فى قلب (لوتشيا) ، وكلها تؤكد أن الجنرال (أسكار) لا يزال حيًّا ، ولكنه معتقل داخل حصن (جدوان) ، ولا ريب أنه يتعرَّض الآن لعمليات التعذيب الوحشية ؛ لإجباره على الاعتراف بأسماء أعضاء تنظيم (النضال الحر) السرّى ، المعارض لحكم (كاميرو) ، ورجال المقاومة التابعين للتنظيم ، والمنتشرين داخل (لوتشيا) .

ممدوح :

— ولكنك قلت منذ لحظات يا سيِّدى : إن معتقل (جدوان) قلعة حصينة يستحيل اختراقها .

اللواء (مراد) :

— وهنا يكمن التحدِّى الحقيقى يا (ممدوح) ، فإخراج الجنرال (أسكار) من ذلك المعتقل الجهنمى ، وإعادته إلى مصر هو أبلغ ردّ على تلك العملية التى أحرجتنا سياسيًّا وأمنيًّا ، فضلًا عن كونه عملًا إنسانيًّا ؛ لأن الجنرال (أسكار) رجل مريض ، ولن يحتمل وسائل التعذيب طويلًا ، وهذا العمل الانتحارى يحتاج إلى رجل مثلك .. إننى أعلم مدى خطورة

العملية ، وليست لدى فى الواقع خطة محدَّدة لاقتحام (جدوان) ، ولكننى واثق من أنك ستجد الوسيلة المناسبة ، فهى ليست المرة الأولى التى تكلّف فيها مهمة خارقة للمألوف ، وتنجح فيها فى امتياز ، محطمًا كل التوقعات .

ابتسم (ممدوح) محاولًا التخفيف من قلق رئيسه وتوتره ، وهو يقول :

— مرحبًا بالمستحيل .. إننى أنتظر إشارة البدء يا سيِّدى .

تألّقت نظرة إعجاب فى عينى اللواء (مراد) ، وهو يتطلَّع إلى ذلك الشاب الذى يواجه أخطر وأصعب المهمات بابتسامة واثقة ، وقال :

— سنبدأ من الغد فى إعداد الترتيبات اللازمة لذهابك إلى (لوتشيا) يا (ممدوح) ، وسيكون فى انتظارك هناك بعض رجال المقاومة التابعين لمنظمة (النضال الحر) ، لتقديم كل التسهيلات الممكنة فى مهمتك .

ممدوح :

— يمكنك أن تطمئن يا سيِّدى .. سأعود — بإذن الله — مصطحبًا الجنرال (أسكار) ، برغم أنف (كاميرو) و (ماركو) ، ومخابراتهما .. وبرغم أنف معتقل (جدوان) الرهيب .. سأعود .

* * *

٣ ــ الهروب المفاجئ..

وصلت الطائرة التابعة لشركة الخطوط السويسرية (سويس إير) إلى مطار (هوران) عاصمة (لوتشيا) ، فى الساعة السابعة مساءً ، وتوجّه ركابها إلى (صالة) الجوازات لإنهاء إجراءات الدخول ، وتوجّه من بينهم راكب ذو شارب كث ، وشعر أشعث إلى ضابط الجوازات ، وقدّم إليه جواز سفر تركى فى ثقة ، وانتظر انتهاء الإجراءات فى هدوء ، إلّا أنه شعر بيد قوية تربّت على كتفه ، وسمع صوتًا خشنًا جافًا يقول فى صرامة :

ــ لا داعى لتأشيرة دخول .. سنسمح لك بدخول (لوتشيا) بدونها .

استدار الشاب فى هدوء يواجه محدّثه ، وفتح فمه ليرفض دعوته ، إلّا أنه عاد يطبق شفتيه حينما رأى أمامه وجهين صارمين ، لرجلين ضخمى الجثة ، وشعر بفوهة مسدّس باردة تلتصق بجنبه ، فى حين أشاح ضابط الجوازات بوجهه ، وكأنما يعلن عدم استطاعته أو استعداده للتدخّل ..

ودفع الرجلان المسافر التركى فى خشونة إلى خارج المطار ، دون أن يعترضهما أحد ، ودفعاه داخل سيارة سوداء كبيرة ، وحشراه بينهما فى المقعد الخلفى ، وقد تجمّدت ملامحهما ، وبدوَا كتمثالين من حجر أصم ، فى حين انطلق قائد السيارة بها فى صمت ، وأخذ ينهب الأرض فى سرعة ، غير عابئ بما يعترضه من إشارات المرور ، حتى توقّفت السيارة أمام مبنى صغير محاط بالأشجار ، وقد أسدلت على نوافذه ستائر سميكة تحجب الضوء عن داخله تمامًا ، وهبط الجميع من السيارة ، وقادوا المسافر التركى عبر باب صغير إلى ممر قصير ، انتهى بهم إلى حجرة بلا نوافذ ، يضيئها ضوء ساطع مبهر ، يجلس داخلها شخص قصير ، تبرز عروق وجهه النافرة على نحو عجيب ، وهو يجلس خلف مكتب كبير يتوسّط الحجرة ، ولم يكد المسافر التركى يقف أمامه ، حتى ضاقت عيناه وهو يتفرّس فى ملامحه فى إمعان ، قبل أن يغمغم فى صرامة :

ــ جواز سفرك .

ناوله التركى جواز سفره فى هدوء ، فقلّبه الرجل بين يديه ، وطالعه فى اهتمام ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقرأ البيانات المدوّنة فى جواز السفر فى صوت بارد :

— (نصرت يلمظ) .. الجنسية (تركى) .

ثم رفع عينيه إلى المسافر التركى بغتة ، وحدجه بنظرة حادة ، وهو يستطرد بنفس البرود الصارم :

— أهنئك ، فجواز سفرك مزوّر فى إتقان ، ولولا تلك المعلومات التى وصلتنا عنك مسبقًا لحصلت على تأشيرة الدخول فى يسر وسهولة .

قال المسافر التركى فى هدوء :

— لست أفهم .. ماذا تقصد يا سيّدى ؟

نهض الرجل من خلف مكتبه ، وبدت قامته أكثر قصرًا وهو يدور حول (ممدوح) ، قائلًا فى تهكم :

— أما زلت مصرًا على اصطناع البرود وعدم الفهم ؟

وبإيماءة صغيرة من رأسه ، تقدّم أحد الرجلين من المسافر التركى ، وأخرج من جيبه علبة صغيرة ، رشّ منها سائلًا لزجًا على جانبى وجه المسافر ، وأسفل أذنيه وذقنه ، وهنا أخذ جلد وجه المسافر التركى ينكمش فى سرعة ، لتظهر من أسفله ملامحه الأصلية ، وتقدّم منه الرجل القصير ، وانتزع فى قسوة شاربه الكث ، وبقايا القناع المطّاطىّ المنكمش ، ثم تراجع قليلًا إلى الخلف ، وبدا شديد الثقة والزهو ، وهو يقول :

— الآن يمكننا أن نتحدّث قليلًا أيها المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) .. أليس هذا هو اسمك الحقيقى ؟..

* * *

ظلّ (ممدوح) صامتًا ، جامد الملامح ، وهو ينظر إلى الرجل القصير ، الذى عاد يبتسم فى غرور ، وهو يستطرد فى برود :

— لا أعتقد أنك من الغباء بحيث تنكر حقيقتك الآن ، فنحن لا نعلم اسمك ومهنتك فحسب ، ولكننا نعلم أيضًا أنك تتبع (إدارة العمليات الخاصة) فى مصر ، أو (المكتب رقم (١٩)) كما تطلقون عليه ، أيكفيك هذا أم تريد أن أخبرك برقم ملفك السرّى ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

— أهنئك على كل هذا القدر من المعلومات .

امتعض الرجل القصير على نحو واضح ، إزاء ثبات أعصاب (ممدوح) وسخريته ، فقال له فى صرامة ، وهو يضغط حروف كلماته فى قوة :

— لا أظنك تجهل وسائلنا الخاصة فى التعامل مع الأوغاد أمثالك ، لنجعلهم أقل بهجةً وثباتًا مما يبدون فى البداية ،



ثم ألقى بها نحو منفضة السجائر ، حيث لم تكن سيجارة القصير قد انطفأت بعد تمامًا ..

وأؤكد لك أن الكولونيل (ماركو) سيسعد باستضافتك كثيرًا فى حصنه .

ثم التفت إلى الرجلين ، وقال فى صرامة :

ـــ انقلاه إلى الحجرة المجاورة حتى يحضر الكولونيل (ماركو) ، ولا تدعاه يغيب عن أبصاركما .

وضع (ممدوح) إصبعه فوق أحد ضروسه ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ إذا كنا سننتظر كولونيلك هذا طويلًا ، فهلا أحضرت لى طبيب أسنان ، فأنا أشعر بألم شديد فى ضرسى هذا ؟

استشاط الرجل غضبًا ، وأطفأ سيجارته فى عصبية ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ لا أظنك ستحتاج إلى التعامل مع طبيب أسنان بعد أن نفرغ منك ، اللَّهم إلّا للحصول على طاقم أسنان صناعية .

ممدوح :

ـــ أأنت واثق من ذلك ؟

وفى حركة سريعة مباغتة ، انتزع (ممدوح) من أسفل ضرسه أنبوبة صغيرة ، تحتوى على مادة سريعة الاشتعال ، ونزع غطاءها بأسنانه ، ثم ألقى بها نحو منفضة السجائر ، حيث لم تكن سيجارة القصير قد انطفأت بعد تمامًا ..

واندلعت النيران ..

* * *

كانت المفاجأة من نصيب الجميع ، فيما عدا (ممدوح) بالطبع ، ففى الوقت الذى قفز فيه القصير من خلف مكتبه فى ذعر ، وقد كادت ألسنة النيران المتأججة تمسه ، وتراجع فيه الرجلان فى فزع ودهشة ، انقضَّ (ممدوح) ..

وفى حركة سريعة أمسك يد أحد الرجلين ، ودفعها إلى الخلف بالمسدَّس الذى تحمله ، ولف ساقه حول ساق خصمه الذى سقط أرضًا ، وأفلت مسدَّسه من يده ، وانحنى (ممدوح) فى سرعة يلتقط المسدَّس ، فى نفس اللحظة التى مرقت فيها رصاصة من مسدَّس الأخير إلى جوار أذنه ، فدار حول نفسه فى حركة رشيقة ، وصرع الرجل برصاصة صائبة ، ثم انتصب واقفًا على قدميه ، وصوَّب فوَّهة مسدَّسه نحو القصير والرجل الآخر ، الذى كان يحاول النهوض ، وقال فى صرامة :

ــ أعطنى مفتاح الحجرة .

غمغم القصير وهو يرتَعِد خوفًا :

ــ ليس هناك مفتاح للحجرة .

جذب (ممدوح) إبرة مسدَّسه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هل تحب أن ألتقطه من حطام جمجمتك .

أدرك القصير من لهجة (ممدوح) الصارمة ، أنه جاد فيما يقول ، فغمغم فى صوت خافت مضطرب :

ــ إنه فى جيبى الأيمن .

ممدوح :

ــ حسنًا .. التقطه بإصبعين من أصابع يدك اليسرى ، وألق به إلىَّ .

نفَّذ القصير ما طلبه (ممدوح) فى حَنَق ، والتقط (ممدوح) المفتاح وأداره فى الباب وهو يراقب الرجليْن فى حذر ، ثم فتح الباب وقال :

ــ وداعًا .. وتذكَّرا مستقبلًا أن كون الحجرات بلا منافذ يجعلها سلاحًا ذا حدَّيْن .

وقفز خارج الحجرة ، وأغلقها بالمفتاح من الخارج ، وترك الرجليْن يحاولان إخماد النيران التى تزايد انتشارها فى الحجرة ، ثم أسرع إلى الخارج ..

وكان سائق السيارة السوداء يقف خارجًا ، مرتكنًا على مقدِّمة سيارته ، إلَّا أنه لم يلحظ (ممدوح) وهو يندفع عبر الممر القصير ، ويختفى وسط الأشجار الكثيفة ، إلَّا عندما أطلق (ممدوح) صفيرًا خافتًا ليسترعى انتباهه ..

واستدار السائق فى دهشة ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر حينما أبصر (ممدوح) ، الذى لم يمهله طويلًا ، بل هوى على رأسه بمقبض مسدَّسه ، ثم قفز إلى السيارة ، وانطلق بها محاولًا الابتعاد بأقصى قدر ممكن عن المكان ، وهو يدرك جيِّدًا أن فراره بهذه السيارة لن ينجح طويلًا ، فهى مميَّزة إلى الحد الذى يجعلها هدفًا سهلًا لمطارديه ؛ لذا فقد أوقف السيارة بعد ربع ساعة فقط من انطلاقه بها ، وسار على قدميه مسرعًا لمسافة طويلة ، حتى لمح موزِّع البريد وهو يوقف دراجته البخارية إلى جوار مبنى قريب ، ويتركها ليضع بعض الخطابات فى صندوق البريد الخاص بالمبنى ..

ودون تردُّد ، اعتلى (ممدوح) مقعد الدراجة البخارية ، وانطلق بها مبتعدًا ، ومتجاهلًا صيحات الذعر والدهشة التى انطلقت من بين شفتى موزِّع البريد ، و (ممدوح) يغمغم فى صرامة :

ـ لقد فازت إدارة العمليات الخاصة بالجولة الثانية أيها الأوغاد .

* * *

٤ ـ الهارب الخطير ..

لم يدر (ممدوح) وهو ينطلق هاربًا ، على متن الدراجة البخارية ، أن أجهزة أمن (لوتشيا) كلها قد انطلقت فى أعقابه ، فلم يكد القصير ورفيقه الضخم ينجحان فى إطفاء النيران ، وتحطيم باب الحجرة حتى شرع القصير يجرى اتصالاته الهاتفية ، التى أطلقت ذئاب الأمن جميعًا فى إثر (ممدوح) ..

وبينما انهمك القصير فى فحص بقايا حجرته وأوراقه المحترقة ، وهو يسبّ ويلعن ذلك الشيطان الذى قلب الأمور رأسًا على عقب ، فوجئ بالكولونيل (ماركو) واقفًا عند باب الحجرة بجسده الضخم ، وهو يحدجه بنظرات ناريَّة قاسية ..

وانتفض القصير وهو يحدِّق فى ذعر فى وجه رئيس جهاز مخابرات (كاميرو) ، وارتبك وتلعثم وهو يحاول البحث عن كلمة لتفسير ما حدث ، إلَّا أن الكولونيل (ماركو) أوقفه وهو يقول فى خشونة :

ـ لست أحتاج إلى الشرح ، فلقد تلقَّيت اتصالًا لاسلكيًا

يشرح ما حدث ، وأنا فى طريقى إلى هنا ، فضلًا عن أن المكان ينبئ بما حدث .

ثم انفجر فجأة مستطردًا فى غضب وقسوة :

ــ ولكنه خطئى أنا ، فلم يكن من الصواب أن أعهد لإدارة فرعية ، يرأسها غبى مثلك ، بمثل هذه المهمة ، فأمثالك لا يعهد إليهم إلَّا برعاية الفراريج الصغيرة .

شحب وجه القصير ، وهو يغمغم :

ــ الأمر كله ...

قاطعه (ماركو) فى حِدَّة :

ــ لو أنك بذلت مجهودًا بسيطًا لقراءة الملف ، الذى وصل إليك عن هذا الرجل ، ما اكتفيت بإرسال رجلين فقط لإحضاره .

القصير :

ــ لقد أرسلت إليه (ويلانى) و (كيتان) ، وهما من أفضل رجالنا يا سيِّدى الكولونيل .

قال (ماركو) متهكِّمًا :

ــ حقًّا ؟!.. وماذا فعل بطلاك ؟..

ثم انفجر فى ثورة :

ــ إنك لا تعلم من هو المقدَّم (ممدوح) .. لو أنك أضعت بعضًا من وقتك الثمين لمراجعة ما ورد بملفه ، لعلمت أنه من أخطر العملاء المعدودين فى العالم كله ، وأن تاريخه حافل بالمغامرات المذهلة .. إن أمثاله ينجحون فيما يخفق فيه المئات من الرجال .. لقد كان من الأجدر بك أن تستخدم كل القوة المخصصة لك لإلقاء القبض عليه ، حتى لا ينتهى الأمر بك إلى هذه الصورة المخزية ، فيفر هو ، ويشعل النيران فى مكتبك ، ويسجنك مع رجلك كجرذين فى مصيدة .

حاول القصير أن يبرِّر موقفه ، إلَّا أن (ماركو) أشار إلى اثنين من أعوانه ، قائلًا :

ــ اقبضا على هذا المستهتر ، وتحفظا عليه فى أحد سجون مخابراتنا .

أخذ القصير يتوسَّل ويتضرَّع دون جدوى ، وجذبه أعوان (ماركو) فى قسوة إلى الخارج ، فى حين تقدَّم أحدهم يشعل سيجار (ماركو) ، الذى أخذ يصدر أوامره لرجاله هاتفيًّا ، آمرًا إياهم بالبحث عن (ممدوح) ، وإلقاء القبض عليه حيًّا أو ميتًا ، ومراقبة الطرق ، ومحطات السكك الحديدية ، وإلقاء القبض على كل من تحوم حوله الشبهات ، وما أن انتهى من كل هذا ، حتى قال مساعده ، محاولًا تهدئة ثائرته :

— إطمئن يا كولونيل ، لن يمكنه التوغل فى بلادنا كثيرًا ، ولن تمضى ساعات قليلة حتى يقع فى أيدينا .

تهالك (ماركو) على المقعد المواجه للمكتب المحترق ، قائلًا :

— هذا الرجل بالغ الخطورة يا (تونار) ، ويكفى أنه جاء إلى هنا بغرض التسلّل إلى معتقل (جدوان) ، وتهريب الجنرال (أسكار) .

ضحك (تونار) فى سخرية ، قائلًا :

— التسلّل إلى (جدوان) ؟!.. إنها مهمة مستحيلة يا سيّدى ، وأنت تعلم ذلك جيّدًا ، إن تهريب أى معتقل من هناك يحتاج إلى فرقة حربية كاملة ، وليس إلى مجرّد رجل واحد ، وإذا تصوّر أنه سينجح وحده فى هذا فهو — ولا شك — مخبول .. لا ريب أن رؤساءه قد أرسلوه فى هذه المهمة ليتخلّصوا منه .

بدا (ماركو) غير مقتنع بما قاله مساعده ، وهو يقول :

— لست متفائلًا مثلك يا (تونار) ، فالمعلومات التى وصلتنى عن هذا الضابط المصرى تجعلنى قلقًا بالفعل ، ولا تنس أننى المسئول عن الجنرال (أسكار) أمام الجنرال (كاميرو) ، وهو لا يرحم من يفشل من رجاله .

حاول (تونار) أن يهوّن من الأمر مرة أخرى ، وهو يقول :

— أعتقد أنك تبالغ كثيرًا يا سيّدى فـ ..

لم يمهله (ماركو) حتى يتم عبارته ، بل أدار قرص الهاتف ، وتحدّث إلى قائد المعتقل قائلًا فى صرامة :

— أريد منكم أن تضاعفوا الحراسة بالنسبة للسجين (٣٠٧) .

أجابه قائد المعتقل ، قائلًا :

— إنه محاط بأشدّ أنواع الحراسة ، داخل زنزانة قويّة يا سيّدى .

ماركو :

— أعلم ذلك ، ولكننى أريد مضاعفة الحراسة ، وستكون مسئولًا أمامى عن هذا السجين بالذات ، وسأحضر إليك قبل بزوغ الفجر للتأكد من تنفيذ أوامرى .

حار قائد المعسكر لهذه التعليمات المفاجئة ، إلّا أنه أجاب فى إذعان :

— كما تأمر يا سيّدى الكولونيل ، وستجد كل شىء على ما يرام عندما تصل إلى (جدوان) .

عاد (ماركو) يقول فى صرامة :

ـــ أريدكمْ أيضًا أن تطلقوا النار ، وبلا إبطاء أو إنذار ، على أى مخلوق يحوم حول المعتقل ، أو يقترب منه .

ثم أنهى المحادثة ، وهو يقول لنفسه فى خشونة :

ـــ لن نترك فرصة واحدة لنجاح هذا الضابط المصرى .

* * *

أوقف (ممدوح) الدراجة البخارية فى منطقة مهجورة ، وتخلَّى عنها ليواصل سيره على الأقدام ، متسترًا بالظلام ، وهو يعلم سلفًا إلى أين تقوده قدماه ، حتى وصل إلى منزل مظلم ، يخيّم عليه السكون ، فطرق بابه ثلاث مرات متتابعة ، وانتظر .

ظلَّ السكون يخيّم على المنزل لحظات ، دون أن يعاود (ممدوح) طرق الباب ، أو تبدو عليه الرغبة فى ذلك ، ثم انفتح الباب فى هدوء ، وبدا على عتبته رجل فى أواسط العمر ، تتجلَّى الصرامة فى ملامحه وهو يحدج (ممدوح) بنظرة باردة جافة ، قبل أن يقول فى غضب :

ـــ من أنت ؟ .. ولماذا تطرق بابنا فى مثل هذه الساعة ؟

اعتذر (ممدوح) ، قائلًا فى هدوء :

ـــ أعتذر لحضورى فى مثل هذا الموعد ، ولكننى جئت أستعيد الطرد الذى وصل إليكم بطريق الخطأ .

نظر إليه الرجل طويلًا فى تمعُّن ، ثم قال مستكملًا الحوار الشفرى المتفق عليه :

ـــ أرجو أن يعود الطرد إلى مكانه الصحيح .

وابتسم (ممدوح) ، وبادله الرجل الابتسامة ، ثم أفسح له فى الطريق ، وتركه يدخل إلى المنزل ، ثم أغلق الباب خلفه فى هدوء ، ودعاه إلى الجلوس على أحد المقاعد ، قائلًا :

ـــ مرحبًا بك .. أنا (جيلان) ، وهذا هو اسمى الحقيقى ، أمّا عن الاسم الحركى فهو (الصقر) ، وأنا رئيس مجموعة من رجال المقاومة السرِّيَّة ، التابعة لمنظمة (النضال الحر) .

ممدوح :

ـــ وأنا (ممدوح عبد الوهاب) من المكتب رقم (١٩) ، وأعتقد أنك تعلم بأمر المهمة التى أتيت من أجلها .

وضع (جيلان) أمامه سلة تمتلئ بالفواكه ، ودعاه لتناول بعضها وهو يقول :

ـــ لقد تصوَّرت أن مهمك قد انتهت ، عندما أسرَّ إلىَّ أحد الرجال الذين وضعتهم لمراقبتك ، أن مخابرات (ماركو) قد ألقت القبض عليك فى المطار .

ممدوح :

ــ لقد نجحت فى الفرار ، ولكننى أصبحت فى خطر مضاعف ، بعد كشف تنكرى ، وبالمناسبة ، هل تحوم حولك الشبهات ؟.

جيلان :

ــ لا .. فأنا أرعى جياد الجنرال (كاميرو) طبيًّا ، ومن المستحيل حصولى على مثل هذا المنصب لو أنَّ هناك أدنى شبهة تحوم حولى ، إلَّا إذا نجحت مخابرات (ماركو) فى كشف أمرى ، ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى : أية مساعدة يمكننى تقديمها لك ؟

ممدوح :

ــ أريد منك أن تعاوننى على الوصول إلى مدينة (جدوان) ، وإلى معتقلها الرهيب ، الذى يحتجزون فيه الجنرال (أسكار) .

حكَّ (جيلان) ذقنه بأظفاره قليلًا ، ثم قال :

ــ إنه ليس أمرًا سهلًا تحت أية معايير ، فقد فقدت أوراقك المزوَّرة ، وأصبحت ملامحك معروفة ، ولا شك أن كل رجل أمن فى (لوتشيا) يحمل صورتك الآن ، ثم إن كل أجهزة

الأمن تنشط للبحث عنك ، وعلى رأسها جهاز مخابرات (ماركو) ، وستتركز جهودهم حول (جدوان) ، ما داموا يعلمون مَنْ أنت ، والغرض الذى جئت من أجله .

(ممدوح) :

ــ ما العمل إذن ؟.. إننا سنخسر كل شىء لو أننا تباطأنا فى التحرّك ، أما من وسيلة للوصول إلى هناك ؟

تراجع (جيلان) فى مقعده ، وابتسم ابتسامة واثقة ، هادئة ، وهو يقول :

ــ لا توجد مشكلة بلا حلّ يا صديقى .

(ممدوح) :

ــ هل تعنى ..؟

جيلان :

ــ بالطبع .. إن لدىَّ الوسيلة المناسبة للوصول إلى (جدوان) .

* * *



٥ ــ رحلة المخاطر ..

تطلّع (ممدوح) فى اهتمام إلى البطاقة التى ناولها إياه (جيلان) ، والتى تحمل صورة لشخص قريب الشبه منه ، تقول بياناتها إنه يعمل بالمحاماه ، واستمع إلى (جيلان) وهو يقول :

ــ انصت إلىَّ جيِّدًا .. سأتصل الآن هاتفيًا بصديق لى ، يقيم على مقربة من هنا ، ويعمل فى المسرح ، ويمتلك خبرة كبيرة فى عمليات التنكر ، واستخدام أدوات (المكياج) بحكم عمله ، وسيأتى إلى هنا على الفور ، ويعمل على جعلك شبيهًا بصاحب الصورة .

تردَّدَ (ممدوح) ، قائلًا :

ــ هل تثق به ؟

أجابه (جيلان) :

ــ كل الثقة ، فهو أحد أفراد مجموعتى ، وهى ليست أول مرة يفعل فيها ذلك ، فطالما استعنا به لتهريب من يفتضح أمره منّا .

وطلب رقم صديقه ، وقال له بكلمات مقتضبة :

ــ إحضر إلى منزلى .. عملية جديدة .

ووضع السَّماعة ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ إنه لا يمتلك بالطبع تلك الوسائل المتطورّة ، التى تمتلكونها فى مخابراتكم ، ولكنك ستشهد بعد أن ينتهى من عمله ، أن الوسائل القديمة ما زالت فعّالة .

سأله (ممدوح) :

ــ وهذه البطاقات الزائفة ، أهى من ابتكاره أيضًا ؟

جيلان :

ــ لا .. البطاقات الشخصية وجوازات السفر أختصّ بها أنا ، وسترى أن الصورة المثبتة بالبطاقة ستناسبك تمامًا حينما ينتهى صديقى .

ثم أردف فى جدية :

ــ ستكون طريقك الوحيد للوصول إلى (جدوان) ياصديقى .

* * *

استغرق صديق (جيلان) أربعين دقيقة فى عمل بارع متواصل ، حتى تمكّن من تغيير ملامح (ممدوح) ، بحيث باتت

تشبه تمامًا ملامح الرجل فى البطاقة المزيفة ، ولم يستطع (ممدوح) إخفاء إعجابه ، حينما استبدل ثيابه ، وتطلّع إلى وجهه فى المرآة ، ليجد أنه قد تحوّل إلى شخص آخر ، فبهاتين العينين المرهقتين ، وذلك المنظار الطبى الأنيق ، والشارب ، والشعر القصير ، بالإضافة إلى الحلة والمعطف الأنيقين ، غدا صورة طبق الأصل من المحامى الذى يحمل بطاقته ..

وتطلّع (جيلان) إلى ساعته ، قائلًا :

ــ ستستقل القطار الوحيد الذى ينطلق الليلة إلى مدينة (أمينون) ، القريبة من (جدوان) فى الواحدة صباحًا ، وعليك أن تلحق به الآن .

ممدوح :

ــ كنت أفضّل الذهاب إلى (جدوان) رأسًا .

جيلان :

ــ لا أنصحك بذلك ، فلا ريب أن محطة قطار (جدوان) تكتظ الآن برجال الأمن والمخابرات ، الذين يبحثون عنك ؛ لأنهم يعلمون أنها هدفك الرئيسى .

ممدوح :

ــ ولكن كيف أصل إلى (جدوان) بعد وصولى إلى (أمينون) ؟

جيلان :

ــ فور هبوطك من القطار توجّه إلى الفندق المجاور للمحطة ، ويدعى فندق (الزهور) ، واحجز لنفسك حجرة هناك ، ودع الباقى لنا .

وناوله مسدّسًا صغيرًا ، وترخيص حمل أسلحة زائفًا ، يحمل اسم المحامى ، وهو يقول :

ــ احتفظ بهذا ، فقد تحتاج إليه .

وضع (ممدوح) المسدّس فى جيب معطفه ، وهو يقول فى امتنان :

ــ لقد أسديتم لى خدمة عظيمة ، ومساعدة قيّمة .

ابتسم (جيلان) وهو يصافحه ، قائلًا :

ــ إننا لم نقدّم سوى القليل ، لرجل جاء مخاطرًا بنفسه وروحه ؛ لإنقاذ زعيم وطنى ندين له بالولاء . أرجو لك التوفيق فى مهمتك .

صافحه (ممدوح) فى حرارة ، ثم غادر المنزل بصحبة صديق (جيلان) ، الذى أقله بسيارته إلى محطة القطار ، وتابع (جيلان) السيارة ببصره حتى اختفت فى الأفق ، ثم غمغم فى حزن وأسف :

— وداعًا أيها الصديق ..

* * *

استرخى (ممدوح) فى مقعده بالقطار ، وتظاهر بالانهماك فى مطالعة صحيفة مسائية ، وهو يسأل نفسه عمّا ستحمله إليه هذه الرحلة من مخاطر ، ولم يكد يتم تساؤله حتى وقف أمامه رجلان يرتديان معطفين سوداوين ، وقال أحدهما فى هدوء لا يخلو من الصرامة :

— شرطة ؟.. هل تسمح بإبراز بطاقتك الشخصية ؟

قدّم له (ممدوح) بطاقته المزوّرة فى ثقة وثبات ، دون أن تبدو على وجهه أية بادرة للارتباك ، ففحصها الرجلان فى عناية ، ثم أعادها الأول إليه ، وهو يقول فى آلية :

— رحلة موفقة .

تنفّس (ممدوح) الصعداء ، وتضاعف إعجابه ببراعة (جيلان) وصديقه ، وإن لم يمح هذا القلق من نفسه ، وهو يعلم أن كل أجهزة الأمن ، وعلى رأسها مخابرات (ماركو) ستواصل بحثها عنه بلا كلل ، وأن الخطر سيظل يُحْدِق به طوال الوقت ..

وسارت الرحلة رتيبة هادئة ، عدا تلك اللحظات التى

توقّف فيها القطار فى المحطات الفرعية ، ونشط فيها رجال الأمن لمضايقة الركاب ، والتأكد من شخصياتهم ، ولكن كل شىء سار على ما يرام ، حتى وصل القطار إلى محطته الأخيرة فى (أمينون) ..

ونفّذ (ممدوح) ما طلبه منه (جيلان) بالضبط ، فتوجّه على الفور إلى فندق (الزهور) ، وحجز لنفسه حجرة ، وقبل أن يصعد إلى حجرته استوقفه رجل يقف إلى جوار موظف الاستقبال ، وسأله فى شك :

— أأنت محام ؟

أجابه (ممدوح) فى برود :

— نعم .

تفرّس الرجل فى ملامحه لحظة ، ثم عاد يسأله :

— وماذا يفعل محامى مثلك فى بلدة صغيرة كهذه ؟

(ممدوح) :

— ليس هذا من شأنك ، ويمكنك أن تقول إننى قد جئت إلى هنا للاستجمام .

أبرز الرجل بطاقته وهو يقول فى صرامة :

— هل تكفيك هذه لتعلم ما إذا كان السؤال من شأنى أم لا ؟

(ممدوح) :

ــ لست أفهم معنى ذلك ، هل تتهمنى بشىء ما ؟

أجابه الرجل :

ــ الكل متهمون فى الوقت الحالى ، والكل موضع شك ، ثم ألا ترى معى أن لهجتك تبدو غريبة لمواطن من (لوتشيا) ؟!

(ممدوح) :

ــ هذا لأننى قضيت فترة طويلة خارج البلاد ، ولم أعد إلى هنا إلّا منذ بضعة أشهر فحسب .

الرجل :

ــ سنتأكّد من ذلك بلا شك ، والآن هل تسمح لرجالى بتفتيشك ؟

كان السؤال روتينيًّا محضًا ، فبدون انتظار الجواب ، تقدَّم ثلاثة من رجاله يفتشون (ممدوح) فى خشونة ، وعثر أحدهم على المسدَّس والترخيص المزيَّف ، فحملهما إلى رئيسه ، الذى فحص المسدَّس بعين خبيرة ، وسأل (ممدوح) فى خبث :

ــ هل اعتدت حمل سلاحك أيها المحامى ؟

(ممدوح) :

ــ نعم .. وهو سلاح مرخَّص كما يثبت الترخيص الذى تحمله .

أعاد الرجل المسدَّس إلى (ممدوح) فى هدوء ، وهو يقول فى خبث :

ــ حسنا أيها المحامى .. يمكنك أن تصعد إلى حجرتك فهذا كل شىء .

ولكن نظراته كانت تشى بالخبث والشراسة .. وبرائحة الموت .

* * *



٦ ـ المطاردة ..

ألقى (ممدوح) جسده على فراشه بكامل ثيابه ، وهو يشعر بإرهاق شديد ؛ بسبب هذه الرحلة الشاقة القلقة ، ثم لم يلبث النوم أن داعب جفنيه ، وأحاط به فى عمق لساعتين كاملتين ، ثم تبخَّر فى لحظة واحدة ، حينما تسلَّلت إلى أذنى (ممدوح) صوت طرقات خافتة على باب حجرته ، فقفز من فراشه ، وقبض على مسدَّسه وهو يقترب من الباب ، قائلًا :

ـ من بالباب ؟

أتاه صوت من الخارج يقول فى خفوت :

ـ جئت أستعيد الطرد الذى وصلك بطريق الخطأ .

أعاد (ممدوح) مسدَّسه إلى جيبه ، وهو يفتح الباب ، قائلًا :

ـ نعم .. وإعادته إلى مكانه الصحيح .

تسلَّل صاحب الصوت إلى الحجرة فى حذر ، وقال وهو يغلق الباب خلفه :

ـ أنا المكلَّف مساعدتك على الوصول إلى (جدوان) ، سأنتظرك بعد ساعة عند مدخل الفندق ، وتوخ الحذر ، واحتفظ بهذه الورقة على سبيل الاحتياط ، فهى ترشدك إلى أحد رجالنا ، وهو يستطيع معاونتك فى مهمتك فى حالة إخفاق ، أو وقوعى فى أيديهم .

لم يكد الرجل يتم عبارته حتى انفتح باب الحجرة الجانبى فجأة ، وظهر على عتبته ذلك الشخص الذى أمر بتفتيش (ممدوح) ، فى ردهة الفندق ، وحوله عدد من الجنود المسلَّحين ، يبتسم فى ظفر ، قائلًا :

ـ هل تنويان مغادرة الفندق بهذه السرعة .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

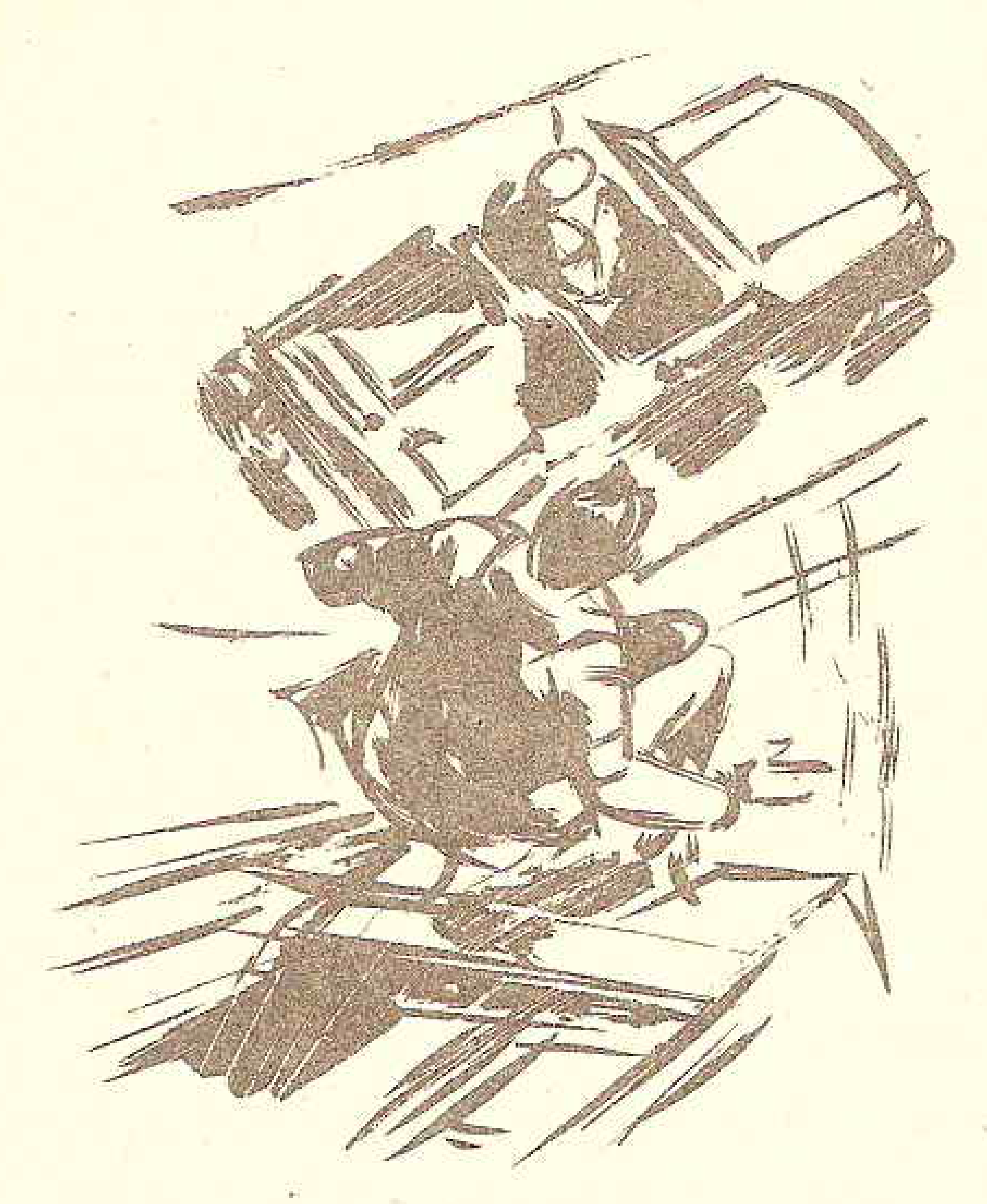
ـ لقد شككت فيك منذ البداية ، ولقد أثبتت تحرياتى أن كل أوراقك زائفة .

وأفسح الطريق لرجاله ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اقبضوا عليهما .

* * *

تحرَّك رجال الأمن للقبض على (ممدوح) ورفيقه ، إلَّا أن ذلك الرفيق صاح فجأة :



فى نفس اللحظة التى قفز فيها (ممدوح) من النافذة ، وسط سيل من النيران ..

- أسرع بالهرب ، فأنا لا أنوى الاستسلام .

وانتزع فجأة من أسفل عباءته مدفعًا رشاشًا قصيرًا ، وأطلق رصاصاته نحو رجال الأمن ، وسقط بعضهم صرعى على الفور ، فى حين تراجع الباقون فى سرعة ليحتموا بالباب الجانبى ، وهم يردُّون على رصاصات الرجل بالمثل ، وأخرج رئيسهم مسدسه فى سرعة ، وأراد أن يطلقه على رأس رفيق (ممدوح) ، ولكن (ممدوح) عاجله برصاصة صرعته على الفور ، وتراجع نحو النافذة ، وهو يعاون رفيقه فى إطلاق النار على جنود الأمن ، واختلس نظرة سريعة عبر النافذة ، فرأى سيارة من نوع الجيب تقف إلى جوار الفندق ، وقد جلس سائقها أمام عجلة القيادة ..

وأطلق رفيق (ممدوح) صرخة ألم قوية ، واخترقت عشرات الرصاصات جسده ، وسقط صريعًا ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (ممدوح) من النافذة ، وسط سيل من النيران ..

وشلَّت المفاجأة سائق السيارة ، الذى فوجئ بـ (ممدوح) يسقط فى مقعدها الخلفى ، وقبل أن يفيق من أثر المفاجأة أطاحت به لكمة (ممدوح) خارج السيارة ، وقفز الأخير إلى عجلة القيادة ، وأدار المحرّك ، وانطلق بالسيارة تلاحقه رصاصات رجال الأمن ، واندفع بها فى طريق أسفلتى ، يطل

على منحدر جبلى ينتهى بأرض شديدة الوعورة ، وقاد السيارة بإحدى يديه ، فى حين أخرج بيده الأخرى تلك الورقة ، التى قدَّمها له رفيقه قبل مصرعه ، محاولاً توزيع انتباهه بين الطريق المخيف ، والرسم المدوَّن فى الورقة ، حتى يمكنه حفظ إرشاداته ..

ولكن انتباهه تركَّز فجأة على الطريق ، فمن بعيد لاحت له نقطة تفتيش عسكرية تعترض الطريق ، وفى مرآة سيارته رأى عدة سيارات تطارده فى إصرار ..

لقد وقع بين شقى الرحى ..

* * *

كان التقدُّم يعنى الموت ، والتراجع يعنى الهلاك ، والتوقُّف هو الاستسلام ..

وكان (ممدوح) يرفض هذه الحلول الثلاثة ..

واختار الحلّ الرابع ..

وترك (ممدوح) سيارته تواصل انطلاقها نحو نقطة التفتيش ، وقفز منها ليتدحرج فوق المنحدر الجبلى ، ولوَّح رجال نقطة التفتيش إلى السيارة ، يطلبون منها التوقف ، دون أن ينتبهوا إلى أنها تنطلق بلا سائق ، ثم حاولوا إطلاق النار عليها إلَّا أنهم كشفوا الحقيقة حينما حطَّمت السيارة الموانع الخشبية التى

تعترض الطريق ، ودارت حول نفسها فى صرير قوى ، ثم انقلبت رأسًا على عقب .

أما (ممدوح) فقد تجاهل ثيابه الممزَّقة ، ويديه المتسلختين ، والكدمات التى تملأ وجهه ويديه من أثر التدحرج على أرض منحدرة ، تمتلئ بالحصى والصخور ، وعاد يفرد ورقة الإرشادات أمام عينيه ، ويدرس الطريق المرسوم فيها فى عناية ..

كان الرسم يشير إلى وجود عدد من المزارع فى نهاية الطريق الجبلى ، طليت أسوار أحدها بلون أزرق داكن ، ويملكها أحد رجال منظمة (النضال الحر) ، ويدعى (بندار) ..

وكان على (ممدوح) أن يصل إليه ..

وانطلق (ممدوح) يجد السير فى طريقه نحو مزرعة (بندار) ، على الرغم من آلامه الجسديَّة ، وهو يعلم أن رجال الأمن سيقتفون أثره فى إصرار ، ولن تكون مهمة العثور عليه بالأمر العسير ، وسط هذه المنطقة الجبلية المكشوفة ..

وصحَّ ما توقَّعه فى سرعة ، فقد رأى من بعيد مجموعة من الجنود تقترب من موقعه ، فأسرع يختبئ بين أطلال معبد جبلى قديم ، وحبس أنفاسه وهو يرهف سمعه لأصوات خطوات الجنود

وهم يقتربون من مكمنه ، وسمع رئيسهم يأمرهم بتفتيش الأطلال ، فالتصق بالجدار الذى يختبئ خلفه ، وهو يستمع إلى أقدام أحد الجنود ، الذى كاد يصل إليه ..

وفجأة قفز (ممدوح) من مكمنه ، وضرب الجندى فى رأسه بمقبض مسدسه ، ثم اختطف الخنجر المعلَّق فى حزام الجندى ، وأغمده فى قلبه ، قبل أن تسنح له الفرصة لإطلاق صيحة تحذير لزملائه ..

وأسرع (ممدوح) يحلّ حزام الجندى من حول وسطه ، وانتزع منه قنبلتين يدويتين ، أسرع يثبتهما فى نطاقه ، ثم انطلق إلى خارج الأطلال ..

وفجأة صرخ أحد الجنود :

ــ ها هو ذا .

ورأى (ممدوح) رءوس الجنود تلتفت إليه ، ورأى فوهات مدافعهم الرشاشة ترتفع فى وجهه ، يطلّ منها الموت ..

* * *

لم يكن هناك وقت للتردّد أو التفكير ؛ لذا فقد أسرع (ممدوح) يلتقط إحدى القنبلتين ، وينتزع فتيلها بأسنانه ، ثم يلقى بها وسط الجنود ، وتركها تمزّق أجسادهم بانفجارها ،

وهو يواصل عدوه ، وعندما حاول الآخرون اعتراضه ، أو مطاردته ألقى عليهم القنبلة الثانية وسط المعبد القديم ، لتنهار جدرانه وأعمدته فوق رءوسهم ، ثم التقط مسدّسه ، وأطلق رصاصاته على الجنديين الباقيين فأرداهما قتيلين ، وعاد يواصل عدوه مبتعدًا عن المكان .. عن منطقة الخطر ..

وواصل (ممدوح) مسيرته وسط الطريق الجبلى الوعر ، حتى لاحت له أول المزارع من بعيد ، فأخذ يحثّ الخطا ، وينتقل من واحدة إلى أخرى ، حتى وصل إلى مزرعة (بندار) ذات الأسوار الزرقاء الداكنة ..

ودفع (ممدوح) باب المزرعة ، وأخذ يتحرّك داخلها فى حذر بحثًا عن (بندار) ، حتى قادته قدماه إلى أحد العنابر المخصَّصة لتربية الدواجن ، وهنا سمع صوتًا يأتى من خلفه قائلًا :

ــ قف مكانك .. لا تتحرّك خطوة واحدة وإلَّا أطلقت عليك النار .

توقَّف (ممدوح) فى قلق ، واقترب منه صاحب الصوت شاهرًا بندقيته ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ ماذا أتى بك إلى هنا ؟

ممدوح :

ــ إننى أبحث عن السيِّد (بندار) ، صاحب المزرعة .

ظلَّ الرجل شاهرًا بندقيته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ وماذا تريد من السيِّد (بندار) ؟

قاطعه اقتراب رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، قال فى هدوء :

ــ ماذا حدث يا (بروك) ؟.. من هذا الرجل ؟

أجابه المسلَّح دون أن يبعد عينيه عن (ممدوح) :

ــ يقول إنه يبحث عنك يا سيِّدى .

التفت (ممدوح) إلى الرجل الطويل ، قائلًا :

ــ هل أنت السيِّد (بندار) ؟

أجابه الرجل :

ــ هو أنا .

ممدوح :

ــ لقد جئت لاستعادة الطرد الذى وصل بطريق الخطأ .

تفرَّس الرجل فى وجه (ممدوح) لحظة ، ثم ابتسم وهو يلتفت إلى المسلَّح ، قائلًا :

ــ اخفض سلاحك يا (بروك) .. إنه واحد منّا .

ثم تأبَّط ذراع (ممدوح) ، وهو يستطرد فى وُدّ :

ــ مرحبًا بك يا صديقى .. لقد وصلت إلى غايتك .

* * *

٧ ــ سيارة الدمار ..

قاد (بندار) (ممدوح) إلى قبو سرِّىّ أسفل المزرعة ، وهو يقول :

ــ لن يعثر عليك أحد من رجال (ماركو) هنا أبدًا ، كما أنهم لن يتطرق إليهم الشك ويقدمون على تفتيش مزرعتى ، فمعتقل (جدوان) نفسه يحصل على بعض احتياجاته من اللحوم والخضراوات من مزرعتى .. والآن أخبرنى ، كيف يمكننى أن أساعدك ؟

ممدوح :

ــ أتعرف موقع زنزانة الجنرال (أسكار) داخل المعتقل ؟

بندار :

ــ لا يمكننى أن أحدِّد ذلك على وجه الدقة ، ولكن لدينا هنا خريطة تفصيلية لمعتقل (جدوان) ، سرقها أحد رجالنا من بعض ضباط المعتقل .

وأعقب القول العمل ، فنشر على المائدة الممتدَّة أمامهما خريطة كبيرة ، قال وهو يشير إليها :

— للمعتقل أربعة أبواب رئيسية ، أهمها الباب الشرق ، الذى تنشط عنده حركة المركبات والسيارات إلى داخل وخارج المكان ، وهذه هى مواقع الزنزانات ، وهذه غرف التعذيب الشيطانى ، وهذه المطابخ ، ولكن هناك ما يجعلنى أعتقد أن الجنرال (أسكار) مسجون هنا ، فى هذه الزنزانة المنعزلة ، حيث إنها مخصَّصة للمعتقلين ذوى الأهمية السياسية الكبرى .

ممدوح :

— هناك سيارات مخصَّصة لنقل اللحوم والخضراوات إلى المعتقل .. أليس كذلك ؟

بندار :

— بلى .. إنها سيارات المعتقل الخاصة ، وهى تأتى كل ثلاثة أيام ، فى العاشرة صباحًا ، وتقوم بنقل اللحوم والخضراوات من المزارع المتعاقدة مع إدارة المعتقل ، ومنها مزرعتى ، بالإضافة إلى مزرعة المعتقل الخاصة .. وغدًا موعدها .

ممدوح :

— حسنًا .. سنستولى على هذه السيارة فى أثناء عودتها بالشحنة ، وسوف تؤدى لنا خدمة عظيمة .

بندار :

— كيف ؟

ممدوح :

— سأشرح لك كل شىء .. المهم ألديك عدد كاف من الرجال ؟

بندار :

— العشرات .. وهم على أتم استعداد للقيام بأى عمل يسنَدُ إليهم .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى ارتياح :

— حسنًا .. غدًا سنقتحم معتقل (جدوان) يا صديقى .

* * *

بينما انهمك رجال الأمن والمخابرات فى البحث عن (ممدوح) ، الذى يختبئ فى قبو مزرعة (بندار) السِّرِّى ، بلا جدوى ، بدأت سيارة المعتقل رحلتها لجمع كميات البيض والدجاج واللحوم والخضراوات ، لنقلها إلى معتقل (جدوان) ..

وأتمت سيارة المعتقل مهمتها دون متاعب ، وبدأت رحلة العودة إلى المعتقل ، وفى أثناء اجتيازها منطقة أدغال ضيقة فوجئ سائقها بعدد من جذوع الأشجار يعترض طريق السيارة ،

فتوقف عن السير مضطرًا ، وأمر الضابط الجالس إلى جواره جنوده بمغادرة السيارة ، وإزاحة جذوع الأشجار عن الطريق ، حتى تواصل السيارة سيرها ، ولم يكد الجنود يتحرّكون لتنفيذ الأمر ، حتى برز فجأة عدد من الأشخاص الملثمين من خلف الأشجار المتشابكة ، وصوّبوا إلى الجنود وضابطهم والسائق بنادقهم الآلية ، ومدافعهم الرشاشة ، وأمر أحدهم الجميع بالاستسلام ، وحذّرهم من مغبة أية محاولة للمقاومة ..

واستسلم الجنود ، وألقوا أسلحتهم على الفور ، إلّا أن ضابطهم الذى يجلس فى كابينة القيادة انتزع مسدّسه ، وهو يقول للسائق فى صرامة :

— تحرّك إلى الخلف .. هيّا .. بسرعة .

وقبل أن ينفّذ السائق أوامر ضابطه ، قفز أحد الملثمين إلى كابينة القيادة ، وصوّب مسدّسه إلى السائق ، وهو يقول :

— لا تطع الأمر هذه المرة يا رجل ، إذا ما أردت أن تكون هناك مرة أخرى .

قفز الضابط من كابينة القيادة ، وأطلق رصاصة من مسدّسه نحو أحد الملثمين ، ولكن الآخرين أطلقوا مدافعهم الرشاشة نحوه بلا تردد ، فأردوه قتيلًا على الفور ، ونزع أحد

الملثمين لثامه ، ليظهر وجه (بندار) ، وهو يسأل أحد رجاله ، بعد أن انهمك الآخرون فى تقييد السائق والجنود :

— هل أحضرتم المتفجرات ؟

أجابه الرجل :

— نعم .

تنهّد (بندار) وهو يقول :

— حسنًا .. سننتقل الآن إلى المرحلة الثانية من الخطة ، وسنرى كم تبلغ قوة جدران معتقل (جدوان) .

* * *

انتهى الكولونيل (ماركو) من فحص إجراءات تشديد الحراسة على معتقل (جدوان) ، وحول زنزانة الجنرال (أسكار) بالذات ، ثم قال لقائد المعتقل فى صرامة :

— ينبغى أن تعلم أن الجنرال (كاميرو) يولى اهتمامًا بالغًا لهذا السجين بالذات ، وهو شديد الغضب ؛ لأنكم عجزتم عن استخلاص أية معلومات منه ، عن رجال المقاومة السرّية لمنظمة (النضال الحر) حتى الآن .

قائد المعتقل :

— لقد استخدمنا معه كل وسائل التعذيب لدينا يا سيّدى ، ولقد رأيت بنفسك اليوم كيف يصرّ على عناده ، وهو يرفض

تزْويدنا بأية معلومات ، على الرغم من أنه يكاد يلفظ أنفاسه مع بعض أساليب التعذيب .

ماركو :

ـــ المهم الآن أن تتشدَّدوا فى حراسته ، حتى نعثر على ذلك الشيطان المصرى الهارب ، فأنا أتوقَّع منه الكثير من المتاعب ، ولو أنه نجح فى المهمة التى أسندها إليه رؤساؤه ، فسنفقد صدى نجاحنا فى عملية اختطاف (أسكار) من مصر ، خاصةً أننا لم نحصل منه على أية معلومات بعد ، وأنا أشعر أن ذلك الضابط المصرى لم يعد بعيدًا عن هنا ..

وكان شعوره صادقًا ..

ففى هذه اللحظة بالذات كان (ممدوح) أقرب إلى المعتقل مما يتصوَّر (ماركو) ، فقد كان يوقف سيارة صغيرة من نوع الـ (ڤولكس ڤاجن) ، على بعد عدة أمتار من سور المعتقل ، وبالتحديد أمام أحد أبوابه الخلفية ، حيث كانت فى مواجهته نقطة تفتيش بها أربعة جنود ، بالإضافة إلى برج المراقبة ، الذى يحمل جنديًّا واحدًا ، ومدفع (مورتر) سريع الطلقات ..

وهبط (ممدوح) من السيارة الصغيرة ، وتظاهر بفحصها فى اهتمام ، مما أثار قلق أحد جنود الحراسة ، فتقدَّم إليه قائلًا فى صرامة :



وهبط (ممدوح) من السيارة الصغيرة ، وتظاهر بفحصها فى اهتمام ، مما أثار قلق أحد جنود الحراسة ..

ـــ ألا تعلم أن الوقوف بالقرب من المعتقل ممنوع ؟..
انصرف وإلّا أطلقنا عليك النار .

ممدوح :

ـــ لقد تعطلّت سيارتى ، ووقفت هنا إضطرارى .

جندى الحراسة :

ـــ وما وجهتك ؟

ممدوح :

ـــ مدينة (سيتال) .

جندى الحراسة :

ـــ كان ينبغى أن تتخذ الطريق الغربى .. أين بطاقتك ورخصة قيادة السيارة ؟

وشعر (ممدوح) بالعرق البارد يتصبّب على جبينه ، وانحنى متظاهرًا بالبحث عن الأوراق المزعومة ، وهو يتساءل فى أعماق نفسه :

ـــ تُرى ما مقدار الألم الذى تسبّبه رصاصة فى الرأس ؟

* * *

فى هذه الأثناء ، وعلى بعد ستين مترًا من الباب الخلفى ، وعند البوّابة الرئيسية للمعتقل ، حيث تقف قوة حراسة كاملة ،

وينتصب عدد من أبراج المراقبة ، ظهرت سيارة الشحن قادمة من بعيد ، فأشار إليها أحد الجنود ، قائلًا لزميله :

ـــ إنها سيارة التموين الخاصة بالمعتقل ، لقد تأخرت عن موعدها اليوم .

وأشار إلى زملائه لرفع الموانع المعدنية من أمام البوّابة ، ليسمح بدخول السيارة ، فى حين قال زميله متعجبًا :

ـــ ما الذى يفعله هذا السائق المجنون ؟.. لقد قفز من السيارة فى أثناء سيرها .

صاح الجندى الأول فى ذعر ودهشة :

ـــ ماذا ؟.. إذن فالسيارة الآن بلا سائق و ....

ولم يكمل عبارته ، فقد قفز جانبًا ليبتعد عن طريق السيارة ، التى داسَت زميله تحت عجلاتها ، واندفعت كالعاصفة الهوجاء داخل المعتقل ، الذى ساده الهرج والمرج ، والجميع يتدافعون للابتعاد عن الإطارات القاتلة ..

ومن بعيد وقف الملثمون يراقبون الموقف ، حتى تأكدوا من دخول السيارة إلى المعتقل ، وهنا رفع أحدهم يده إلى أعلى ، وهو يقول فى حزم :

ـــ الآن .

وبسرعة ضغط أحدهم جهاز التفجير ، الذى يتصل بسلك طويل يمتد إلى السيارة ، فسرت الإشارة إلى شحنة ضخمة من المتفجرات ، وانفجرت السيارة انفجارًا هائلًا ، أطاح بعدد من المبانى والجدران ، ومزّق أجساد العشرات من جنود الأمن ..

وتحوّلت أبصار الجميع ، حتى حرّاس الباب الخلفى ، نحو الانفجار ، ومنح ذلك الفرصة لـ (ممدوح) ، فالتقط مسدّسه من (تابلوه) السيارة فى سرعة ، وأطلق النار على الجندى الذى يطالبه بإثبات شخصيته ، دون أن ينتبه رفاقه ، عندما أخذ صوت الانفجار المدوّى صوت الرصاصة المكتوم ..

وحينما انتبهوا كان (ممدوح) قد التقط مدفع الجندى الرشاش ، واندفع نحوهم ، وهو يمطرهم برصاصاته ..

وسقط الجنود صرعى رصاصات (ممدوح) ، وحاول جندى برج المراقبة أن يصل إلى مدفعه (المورتور) السريع الطلقات ، إلّا أن رصاصات (ممدوح) أصابته فى مقتل ، فهوت جثته من فوق البرج .

واندفع (ممدوح) داخل معتقل (جدوان) الرهيب ..

لقد نجح فى دخوله ، وسيكون عليه أن يسعى للخروج منه حيًّا ..

* * *

٨ — الهروب الانتحارى ..

كان للمفاجأة أثرها الفعّال فى ذلك الهجوم الانتحارىّ المفاجئ ، فقد اندفع (ممدوح) داخل المعتقل ، يشقّ طريقه برصاصات مدفعه الرشاش ، وأسقط ثمانية من الجنود فى هجمته الأولى ، فى حين لم يصب هو إلّا بخدش صغير فى ذراعه اليسرى ..

كان أشبه بفدائى يعرف هدفه جيّدًا ، وتمتلئ نفسه بالإصرار على تحقيقه ، مهما اعترضه من عقبات ..

وكان هدفه هو الوصول إلى زنزانة (أسكار) المنعزلة ، التى حفظ الطريق إليها عن ظهر قلب فى مزرعة (بندار) ..

ولم يجد (ممدوح) مقاومة شديدة ، وهو يشقّ طريقه إلى هدفه ، فقد سادت المعتقل فوضى هائلة بعد الانفجار الرهيب ، الذى حطّم المبانى والجدران ، وأتاح للمعتقلين الفرار من زنزاناتهم ، والاشتباك مع من تبقى من الجنود ، الذين يقاتلون لمنعهم من الفرار ..

ونجح (ممدوح) وسط تلك الفوضى فى الوصول إلى الزنزانة المنعزلة ، واشتبك فى قتال سريع مع خارسَيْها ، ولكنه أرداهما برصاصات مدفعه الرشاش فى سرعة ، ثم صاح بأعلى صوته :

— جنرال (أسكار) .. هل أنت فى الداخل ؟

أجابه صوت ضعيف من داخل الزنزانة يقول :

— نعم .. أنا هنا .

ممدوح :

— ابتعد عن باب الزنزانة إذن بقدر الإمكان ، فسوف أنسفه بعد لحظات :

ثم ثبّت قنبلة إليكرونية صغيرة على رتاج الباب الفولاذى ، وابتعد فى سرعة إلى ركن بعيد ، وضغط زر جهاز صغير فى يده ، فانفجرت القنبلة ، وانفتح الباب ، ومن بين الأتربة المتناثرة عن الانفجار ، رأى (ممدوح) الجنرال (أسكار) خارجًا ، وهو يبعد الأتربة عن وجهه بكفيه ، فأسرع إليه ، وهو يشير إلى الحارسَيْن القتيلين ، قائلًا :

— هيَّا ياسيِّدى .. سنرتدى ثياب الحارسَيْن بأسرع مايمكننا ، فنحن فى سباق مع الزمن .

نظر إليه (أسكار) فى دهشة ، وقال :

— من أنت ؟

ممدوح :

— لا وقت للشرح ، كل مايمكننى قوله هو أننى هنا لمساعدتك على الفرار من هذا الجحيم ، فدعنا لا نضيع الوقت .

أسرع (أسكار) ينفِّذ تعليمات (ممدوح) ، وهو يقول :

— لقد قلت مايكفى ياولدى .. مايكفى تمامًا .

* * *

سعل (ماركو) الذى نجا من الانفجار ، وهو يصرخ فى هستيرية :

— كل ذلك من تدبير العميل المصرى .. هذا الانفجار من ترتيبه حتمًا .

لم يستمع قائد المعتقل إلى كلمات (ماركو) ، وهو منهمك فى إصدار تعليماته إلى ضباطه وجنوده ؛ لمنع المساجين من الفرار ، بعد أن تهدَّمت زنزاناتهم ، ولكن (ماركو) صرخ فيه فى غضب :

— عليك اللعنة .. دعك من هؤلاء المساجين الحمقى ، وأرسل كل ما لديك من جنود إلى الزنزانة التى أودعت فيها (أسكار) ، فهذا هو هدف ذلك الشيطان الحقيقى أيها الغبى .

ارتعدت فرائص قائد المعتقل ، ونقل تعليمات (ماركو) إلى ضباطه فى ارتباك شديد ، ليقودوا ما تبقى من الجنود إلى زنزانة (أسكار) ..

أما (ممدوح) و (أسكار) فقد أسرعا نحو الباب الخلفى ، بعد أن تنكّرا فى زى جنود المعتقل ، ولكنهما وجداه مغلقًا ، ومحاطًا بعدد من جنود الحراسة ، فأسرعا يبحثان عن مخرج آخر ، ولكن المخارج كلها كانت تغصّ بجنود الحراسة ، وازداد الموقف حرجًا حينما رأى (ممدوح) فريقًا من الجنود يقترب منهما ، فقال (أسكار) :

ـــ لن تكفى هذه الثياب لحمايتنا طويلًا ، فإذا ما اقترب منّا هؤلاء الجنود ، فسيكون من السهل عليهم كشف أمرنا .

أسكار :

ـــ وماذا نفعل ؟

التفت (ممدوح) إلى دبَّابة رابضة على أرض فناء المعتقل ، فعاد يسأل (أسكار) فى اهتمام :

ـــ جنرال (أسكار) .. لقد كنت قائدًا لسلاح المدّرعات قبيل الانقلاب الذى شاركت فيه (كاميرو) .. أليس كذلك ؟

أسكار :

ـــ بلى ..

ممدوح :

ـــ إذن فأنت تعلم كيف تقود دبَّابة ؟

أسكار :

ـــ بالطبع .

ممدوح :

ـــ هيّا بنا إذن .. ستقود هذه الدبّابة إلى الخارج .

أسكار :

ـــ ولكن ..

ممدوح :

ـــ لا وقت للتردّد .

اندفع الاثنان ليعتليا متن الدبَّابة ، ثم فتحا غطاءها ، وقفزا داخلها ، وقال (ممدوح) :

ـــ والآن انطلق نحو جدار المعتقل ، وسوف أكفل لك حماية كافية ضد الهجمات الخلفية .

وانطلقت الدبَّابة ، وحاول الضابط والجنود اعتراضها ، أو محاصرتها ، ولكن الوحش الحديدى تابع سيره فى قوة ، والرصاصات ترتد عن درعه القوى ، فى حين قاد الجنرال (أسكار) الدبَّابة فى براعة ، وأطلق من ماسورتها الضخمة قنبلة

دكّت الجدار وحطمته ، وأصدر أحد الضباط أمرًا لجنوده باعتلاء الدبابة ، وتدمير طاقمها الصغير بالقنابل اليدوية ، ولكن (ممدوح) فتح غطاء الدبّابة ، واتخذ منه درعًا يتقى به الرصاصات ، ويطلق من خلفه رصاصات مدفعه الرشاش ، ليمنع الجنود من الاقتراب ، وقنابلهم اليدوية تنفجر حول الدبابة دون أن توقف مسيرتها ، وهى تتجاوز جدار المعتقل ، الذى دكّته دكًّا .

وانقلب المعتقل رأسًا على عقب ، وأخذ (ماركو) ، الذى يتابع ما يحدث من النافذة ، يطلق صرخات هستيرية ، ويلقى أوامر متضاربة تعكس اضطرابه وانهياره النفسى الواضح .

ومن بعيد رأى الملثمون (ممدوح) وهو يرفع أصابعه بعلامة النصر ، من فوق الدبّابة ، فانطلقوا يهتفون ويهللون فى سعادة ، وهم يرفعون أسلحتهم عاليًا ، وهتف بهم (بندار) :

ــ والآن لنبدأ الخطوة الأخيرة .

تصاعدت صيحات الرجال ، وقفزوا داخل عدد من سيارات (الجيب) ، وانطلقوا نحو المعتقل ، وهم يطلقون مدافعهم الرشاشة نحو جنوده ..

وفى تلك اللحظة ظهرت هليوكوبتر تقترب فى سرعة ، وتدلّى منها سُلّم من الحبال يمس سطح الدبّابة ، ورفع قائدها يده بعلامة النصر .

* * *

٩ ــ المنطقة المرعبة ..

عاون (ممدوح) (أسكار) على صعود سُلّم الهليوكوبتر ، وتبعه فى مهارة ، حتى استقرّا داخل الطائرة ، وهتف الطيار فى سعادة :

ــ مرحبًا بك أيها الزعيم .. حمدًا لله على نجاتك .

أسكار :

ــ تهنئة سابقة لأوانها أيُّها المناضل ، فلم نتجاوز دائرة الخطر بعد .. من أين حصلتم على هذه الهليوكوبتر ؟

الطيّار :

ــ إنها ملك للسيِّد (نورد) ، أحد كبار رجال الصناعة فى (لوتشيا) .

ابتسم (أسكار) ، قائلًا :

ــ وأحد كبار أعضاء منظمة (النضال الحر) .

والتفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ــ هل ترى يا صديقى كيف يتضاعف عدد الثوّار فى كل

مكان فى (لوتشيا) ، وعلى مختلف المستويات ؟ لقد باتت الثورة وشيكة .

سأل (ممدوح) الطيّار :

ــ إلى أين نذهب ؟

الطيّار :

ــ إلى مخبأ سرّى فى إحدى المغارات الجبلية ، تم إعداده لِيُؤويكما بضعة أيام ، حتى تهدأ الأمور ، ونجد وسيلة لتهريبكما إلى الخارج .

لم يكد الطيّار يتم عبارته حتى ارتجت الهليوكوبتر فى قوة ، وهتف الطيّار فى جزع :

ــ يا إلهى !!.. لقد أصابوا الطائرة .. سنلقى حتفنا جميعًا .

* * *

واصلت الهليوكوبتر انطلاقها بعد الإصابة ، إلّا أن مؤشر الوقود أخذ يشير إلى تناقصه فى سرعة ، وبدأ المحرّك يصدر أصواتًا عجيبة ، فسأل (ممدوح) الطيّار :

ــ ماذا يحدث ؟

ــ يبدو أن خزّان الوقود قد أصيب ، وسنفقد كل وقودنا بعد لحظات .

ممدوح :

ــ ألّا توجد مظلات هبوط فى الطائرة ؟

ــ كلّا ، مع الأسف .

نظر (ممدوح) إلى أسفل ، ورأى سلسلة من الجبال والمرتفعات الصخرية ، التى تعوق هبوط الهليوكوبتر ، وقال (أسكار) فى قلق :

ــ ماذا يمكننا أن نفعل ؟

الطيّار :

ــ ليس أمامنا إلّا أن أحاول دفع الهليوكوبتر ، لنصل إلى منطقة المستنقعات ، فالأرض هناك طينية ، ولن تتحطّم الطائرة فى أثناء الهبوط على الأقل .

ممدوح :

ــ المهم أن يسمح لنا ما تبقى من الوقود بذلك .

انطلق الطيّار يقود الهليوكوبتر فى براعة ، ومؤشر الوقود يقترب من الصفر فى سرعة مخيفة ، حتى هتف (أسكار) :

ــ ها هى ذى منطقة المستنقعات .. إنها منطقة رهيبة ، لم يقربها أحد منذ زمن طويل ، لقد كانت ضمن خطة الإصلاح فى بداية الثورة ، حيث كنا ننوى ردمها ، وإقامة مشروع سياحى كبير فوقها ، ولكن (كاميرو) استولى على أموالها لنفسه .

ممدوح :

ـــ سيكون ذلك لصالحنا ، فهذه المنطقة التى يخشاها البشر ستمنع (ماركو) وجنوده من البحث عنا ، أو العثور علينا .

أشار مؤشر الوقود فى تلك اللحظة إلى الصفر ، وبدأت الهليوكوبتر تهبط فى سرعة وسط المستنقعات الموحلة ، والأشجار الكثيفة المتشابكة ، وقفز منها (ممدوح) و (أسكار) والطيَّار قبل أن ترتطم بسطح المستنقع .

وغاص (ممدوح) عميقًا فى المياه الآسنة الموحلة ، ثم جاهد ليصعد إلى السطح ، ولم يكد يستنشق الهواء العطن فوق السطح ، حتى دار ببصره يبحث عن الطيَّار والجنرال (أسكار) ، ولمَّا لم يعثر لهما على أثر عاد يغوص فى المستنقع بحثًا عنهما ، حتى وصل إلى الهليوكوبتر التى استقرَّت فى قرار المستنقع ، واتسعت عيناه فى ذعر ، فقد كانت قدم الجنرال قد انحشرت أسفل الهليوكوبتر ، والطيَّار يحاول إنقاذه فى يأس ..

لقد نجح الجنرال (أسكار) فى الفرار من معتقل (جدوان) ، ليلقى حتفه فى مستنقعاتها الرهيبة .. التى لم تطأها قدم بشر بعد ..

* * *

شقّ (ممدوح) مياه المستنقع الموحلة بذراعيه فى قوة ، وهو يغوص نحو الهليوكوبتر ، وتعاون مع الطيَّار فى محاولة لإنقاذ الجنرال ، وتبيَّن لهما فى أثناء المحاولة أن طرف سرواله ، المعلَّق فى باب الطائرة المغلق ، هو الذى يعوق تحرّكه ، وهنا التقط (ممدوح) الخنجر الذى يثبِّته حول ساقه ، وقطع الجزء المعلَّق من السروال ، وترك الطيَّار يصعد بالجنرال إلى السطح ، فى حين التقط هو بعض الأغذية المحفوظة من داخل الهليوكوبتر ، ولحق بهما ..

وبرزت وجوه الثلاثة فوق السطح الموحل ، والتقطوا أنفاسهم فى عمق ولهفة ، ثم أخذوا يسبحون فى صعوبة ، حتى وصلوا إلى منطقة صلبة ، فصعد إليها (ممدوح) ، وأخذ يعاون (أسكار) ، الذى خارت قواه بسرعة .. بعد كل ما تعرَّض له من عذاب داخل المعتقل الرهيب ، ولم يكد يشعر بجسده فوق الأرض الصلبة حتى ألقى بنفسه فى إرهاق ، وأخذ يلهث ، فى حين بقى الطيَّار وسط المستنقع حتى اطمأنّ إلى نجاة زعيمه ، ثم بدأ يصعد إلى الأرض الصلبة ..

وفجأة برز جسم عجيب من خلف الطيَّار ، وعاد يغوص فى سرعة ، قبل أن ينتبه إليه هذا الأخير ، الذى لم يكد يتشبَّث

بالأرض حتى اتسعت عيناه فى ذعر ، وأطلق صرخة رعب عالية ، وهو يهتف :

ـــ النجدة .. إنه سيلتهمنى .

ثم غاص فى المستنقع فجأة ، وكأنما اجتذبه شىء ما ..

قفز (ممدوح) من مكانه فى دهشة ، واستلّ خنجره ، وقفز فى المستنقع خلف الطيّار ، ولم يكد يرى ما يحدث ، حتى تصارعت فى أعماقه الدهشة والرهبة معًا ، فقد كان الطيّار يصارع فى رعب للتخلص من أسنان قاتلة ..

أسنان (ديناصور) ..

* * *

لم يكن ذلك الذى رآه (ممدوح) (ديناصورًا) حقيقيًّا ، من ذلك النوع الذى انقرض قبل الميلاد بملايين الأعوام ، وإنما كان حيوانًا عجيبًا ، له وجه (ديناصور) ، وجسم سحلية ، وكان يطبق بأسنانه على قدم الطيّار ، الذى شلّه الخوف .

ولم يتردّد (ممدوح) ، وتعلّق بظهر الحيوان العجيب ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، وأخذ يطعنه بخنجره فى قوة طعنات متتالية ، حتى اندفعت الدماء غزيرة من جسده ، وتراخت أسنانه حول ساق الطيّار ، ثم أخذ يتقافز ويتقلّب فوق سطح الماء ، مصدرًا صوتًا يشبه نقيق الضفادع ..

وتراجع (أسكار) فى رعب وذهول ، وهو يشاهد ما يحدث ، وبدا له الحيوان الذى يتقلّب كشيطان بشع ، فى حين لم يظهر أدنى أثر لـ(ممدوح) أو الطيار ..

وأخيرًا ، وعندما خمدت حركة الحيوان الصريع ، ظهر (ممدوح) على السطح ، وهو يحمل معه الطيّار ، الذى فقد الوعى ، فتنفسّ (أسكار) الصعداء ، وأسرع يعاون (ممدوح) على نقل جسد الطيّار إلى السطح ، وهو يقول فى لهفة :

ـــ لا بدّ من تضميد جراحه ، لقد أصابته أسنان (الورل) بجراح عميقة .

ممدوح :

ـــ (الورل) ؟!.. ما هذا الحيوان العجيب ؟

أسكار :

ـــ إنه نوع من السحالى المتوحّشة ، التى تستوطن هذه المستنقعات ، وتنشر فيها الرعب ، ويقول العلماء إنها تنتمى لفصيلة (الديناصورات) المنقرضة منذ ملايين السنين .

ممدوح :

ـــ لقد لاحظت أن وجهها شديد الشبه بالـ(ديناصور) .

أسكار :

ــ إن ذلك الطيَّار الشاب محظوظ ؛ لأنه وجد شخصًا شجاعًا مثلك ينقذه من بين أنياب (الورل) ، فوحشية هذا الحيوان وشراهته تعادل عشرة تماسيح .

صمت (ممدوح) لحظة ، ثم قال :

ــ لست أدرى ما إذا كان محظوظًا أم تعسًا يا سيِّدى ، فلقد نجا من أسنان (الورل) ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم أى مصير ينتظره وينتظرنا ، فربَّما كانت هذه المستنقعات مقبرتنا جميعًا .





١٠ ــ السحالى المتوحِّشة ..

استعاد الطيَّار وعيه ، وتطلَّع إلى (ممدوح) فى امتنان ، وهو يقول :

ــ لست أدرى كيف أشكرك يا صديقى ، فلقد أنقذتنى من موت محقق ..

ممدوح :

ــ المهم الآن أن تكون قادرًا على السير ، حتى نسرع بمغادرة هذه المنطقة المرعبة ، فمهما كان الأمر ، فلن نستطيع أن نظل طويلًا فى ذلك المكان ، الذى يزخر بتلك السحالى المتوحِّشة ، وغيرها من الزواحف والحشرات .

الطيَّار :

ــ أعتقد أننى أستطيع السير الآن .

أسكار :

ــ يمكنك أن تستند إلى كتفى .

وسار الثلاثة وسط المستنقعات ، وهم يخترقون الأدغال الكثيفة ، ويخوضون فى أرض موحلة تارة ، ويابسة تارة أخرى ،

ويضطرهم الأمر أحيانًا إلى عبور بعض المناطق العميقة سباحة ، حتى أدركهم التعب ، فجلسوا يلتقطون أنفاسهم فى بقعة تمتلئ بالحشائش القصيرة ، وقد بدأ الليل يسدل أستاره على منطقة المستنقعات ، قال (أسكار) وهو ينظر حوله فى قلق :

— إن ذلك المكان يصبح أكثر خطورة فى الليل ، خاصة وأن (الورل) يزداد شراهة فى الظلام .

الطيَّار :

— إننى أقترح أن نشعل نارًا ، فهذه السحالى تخشى النيران .

ممدوح :

— ومن أين لنا النار ؟

الطيَّار :

— لقد كنت أحد الكشَّافة فى صباى ، وأعرف كيف أصنع شرارًا من حكّ الأغصان الجافة بعضها ببعض .

أسكار :

— فلنجمع إذن أكبر قدر من الأغصان الجافة .

تناهى إلى مسامعهم صوت السحالى الشبيه بنقيق الضفادع ، فأردف :

— وأقترح أن نسرع بذلك .

جمع الثلاثة كل ما توصَّلت إليه أيديهم من الأغصان الجافة ، وانهمك الطيَّار الشاب فى إشعالها حتى نجح فى ذلك ، حينما بدأت السحالى تقترب منهم ، فوقف الثلاثة يلوِّحون بالأغصان المشتعلة فى وجوه السحالى ، حتى هتف (ممدوح) فجأة :

— أنصتوا .

أرهف الثلاثة أسماعهم فى انتباه ، ثم قال الطيَّار :

— إنه صوت طائرات هليوكوبتر تقترب .

ممدوح :

— يبدو أنهم لم يطرحوا من أذهانهم تمامًا فكرة وجودنا فى المستنقعات .

أسكار :

— من الأفضل أن نحتمى بالأشجار الكثيفة ، لتحجبنا عن أنظارهم .

ممدوح :

— هيا قبل أن يلمحونا .

انطلق الثلاثة نحو بقعة تمتلئ بالأشجار ، وهم يلوِّحون بالأغصان المشتعلة فى وجوه السحالى ، التى حاولت مطاردتهم ، والتى لم تكن تساوى شيئًا أمام أنياب الذئب

الذئب المعروف باسم (ماركو) ..

* * *

حامت أربع طائرات هليوكوبتر حول منطقة المستنقعات ، وهى تضىء كشّافاتها القوية فوق المستنقع والأشجار المحيطة به ، بحثًا عن الهاربين ، وفى إحداها جلس (ماركو) يتطلّع إلى المنطقة من خلال منظاره المقرّب ، ثم أشار إلى منطقة ما ، وهو يقول لمساعده (تونار) :

ـــ هل ترى هذه النيران المشتعلة ؟

تطلّع (تونار) من خلال منظاره المقرّب ، وقال :

ـــ نعم .. إن هذا يؤكّد وجود آدميين بالمنطقة .

ماركو :

ـــ كنت أتوقّع ذلك .. أصدر الأوامر لتهبط طائرتين بالقرب من تلك البقعة ، وينتشر منهما الجنود بحثًا عن مصدر النيران ، أمّا الطائرة الثالثة فلتساعدنا فى مسح المنطقة من ارتفاع منخفض .

أصدر (تونار) الأوامر بواسطة اللاسلكى ، وهبطت طائرتان فوق الأرض اليابسة ، خلف موقع (ممدوح) ورفيقيه ، وانطلق منهما نحو سبعة عشر جنديًا ، انتشروا فى المكان وهم

يحملون الأسلحة ، والكشّافات الضوئية ، وتناهى صوت تحرُّكهم إلى مسامع (ممدوح) ، فأشار إلى رفاقه أن يطفئوا أغصانهم المشتعلة ، حتى لا تكشف عن موقعهم ، ولاذ الثلاثة بالصمت التام ..

وفجأة أطلق أحد الجنود صرخة مدوّية ، والتفت إليه زملاؤه ليشاهدوا إحدى السحالى المتوحّشة وهى تطبق على ذراعه بأسنانها الحادة ، وتجذبه إلى الأرض ، فأطلقوا عليها النار ، وأردوها قتيلة على الفور ، وأثارت رائحة الدماء عشرات السحالى ، فانقضت على الجنود من كل الاتجاهات .

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ابتسم (ممدوح) ، وقال للجنرال مداعبًا :

ـــ يبدو أن سحالى (الورل) تؤيدك يا سيّدى الجنرال ، فها هى ذى تشارك منذ الآن فى الثورة القادمة .

لم يكد يتم عبارته حتى بدت حركة مفاجئة من خلفه ، فاستدار فى سرعة ليرى واحدة من السحالى المتوحّشة ، وقد فتحت فكيها عن آخرهما ، استعدادًا للانقضاض عليه ، فاستلّ خنجره فى سرعة ، وقذفه نحوها ، وأطلقت السحلية صرختها الشبيهة بنقيق الضفادع ، حينما استقرّ الخنجر حتى مقبضه فى

عنقها ، وانقلبت على ظهرها ، وظلّت تتلوى لحظة ، ثم خمدت حركتها تمامًا ، فانتزع (ممدوح) خنجره من عنقها ، فى حين مازحه الجنرال (أسكار) ، قائلًا :

ـ هأنتذا ترى تلك السحالى الثائرة غير مأمونة الجانب ، فمن الممكن أن تنقلب علينا فى أية لحظة .

ابتسم (ممدوح) ، ثم قال فى جدّيّة :

ـ لا عليك من (الورل) يا سيّدى ، إن علينا الآن أن نستعد لخطوة انتحارية جديدة ، وإلّا كان علينا أن نلحق بهذه السحلية فى عالم الموتى .

* * *



١١ ـ نهاية الكولونيل ..

أشار (ممدوح) لرفيقيه ، يدعوهما لالتزام الصمت ، وتحرّك فى خفة بين الأشجار ، حتى لمح جنديين يقتربان من مكمنه ، وفى لمح البصر انقضّ (ممدوح) على أحدهما من الخلف ، وكتم صيحته بكفّه فى قوة ، وأغمد خنجره فى ظهره ، فى حين انقضّ الطيّار على الآخر ، وعاجله بضربة قوية مستخدمًا صخرة كبيرة هشّمت رأس الرجل ، وأسرع (ممدوح) ورفيقاه يستولون على أسلحة الجنديين ، وقال (ممدوح) :

ـ سنبذل أقصى جهدنا للوصول إلى إحدى طائرتى الهليوكوبتر ، فهى وسيلتنا الوحيدة للفرار من هنا .

الطيّار :

ـ ولكن الجنود يحيطون بالمنطقة كلها .

ممدوح :

ـ إنهم منهمكون فى صراعهم مع السحالى المتوحّشة ، وحينما يتفرّغون لنا نكون قد وصلنا إلى إحدى الطائرتين .

أسكار :

ـــ ولكننا سنتعرَّض فى هذه الحالة لمدفعى الطائرتين ، اللتين تحلِّقان فوق المنطقة .

ممدوح :

ـــ لست أنكر أن الأمر ينطوى على مخاطرة شديدة ، ولكن ليس أمامنا خيار ..

أسكار :

ـــ حسنًا .. سنقوم بذلك معًا .

ممدوح :

ـــ هيَّا بنا .

انطلق الثلاثة فوق الأرض الموحلة ، فى طريقهم إلى طائرتى الهليوكوبتر ، فى الجهة المقابلة للأدغال الكثيفة ، ولمحهم (ماركو) من طائرته وهم يركضون ، فابتسم ابتسامة ظافرة ، وهو يقول لمساعده :

ـــ ها هى ذى الفئران قد غادرت جحورها .. استعدوا .. سنطلق عليهم النار .

* * *

حلَّقت طائرتا الهليوكوبتر فوق (ممدوح) ورفيقيه ، وأطلقت نيرانها عليهم فى شراسة ، وأصابت أحد رصاصاتهم كتف الجنرال (أسكار) ، إلَّا أنه تحامل على نفسه ، على الرغم من دمائه التى جعلت تنزف فى غزارة ، وتابع ركضه نحو الطائرتين ، فى حين أخذ (ممدوح) والطيَّار يطلقان النار على حارسى الطائرتين ، وتبادل معهما الحارسان إطلاق النيران فى إصرار ، فألقوا بأنفسهم وسط منطقة عشبية كثيفة ، وعاون الطيَّار (أسكار) على الاختباء وسط الحشائش ، فى حين أخذ (ممدوح) يزحف بين الحشائش كالثعبان ، فى انتظار تحليق إحدى الطائرتين نحوه ، ولم تكد الطائرة تحلِّق على ارتفاع منخفض ، استعدادًا لإطلاق مدافعها نحوهم ، حتى برز (ممدوح) من بين الحشائش فجأة ، وجثا على ركبتيه وهو يطلق رصاصات مدفعه الرشَّاش نحو الطائرة ، فصرع قائدها وركَّابها الثلاثة ، فتهاوت الهليوكوبتر ، وارتطمت بالأرض ، وانفجرت فى دوىّ شديد ..

وصرخ (ماركو) فى الطائرة الأخرى :

ـــ اللعنة !! لقد دمَّر هذا الشيطان الطائرة .

قال (تونار) وهو يستحث قائد الهليوكوبتر على الهبوط على ارتفاع منخفض :

— اطمئن يا كولونيل ، لن يفلتوا من يدى ، فأنا قنّاص ماهر ، وأعرف كيف أحصد الفئران أمثالهم .

وهبطت الطائرة إلى أطراف الأعشاب تقريبًا ، وأسند (تونار) بندقيته التلسكوبية إلى كتفه ، ودار بعينيه بحثًا عن الهاربين الثلاثة ، حتى حدّد موقعهم ، فسدّد بندقيته إلى الهدف فى إحكام ، وأطلق النار ..

مرّت لحظة من الصمت ، تخلّى فيها (تونار) عن منظاره المقرّب ، وتطلّع (ماركو) خلاله فى لهفة ، ثم هتف فى ظفر :

— لقد أصبتهم يا (تونار) .. لقد أصبتهم .

* * *

أطلق (تونار) صيحة فرح ، وحاول أن ينطق بكلمة ما ، إلّا أن (ماركو) عاد يهتف فى غضب :

— يا للشيطان !.. إنها ثيابهم فحسب .. لقد تركوها بين الأعشاب لتضليلنا .. لقد خدعونا .

وقبل أن تعاود الهليوكوبتر ارتفاعها ، برز (ممدوح) فجأة من بين الأعشاب الكثيفة ، وأمطرها من الخلف بوابل من النيران ، وأصيب (تونار) فى رأسه وجسده ، وسقط جسده من الهليوكوبتر ، وسط الأعشاب الكثيفة ، وصرخ قائد الهليوكوبتر فى ذعر :

— لقد أصابوا المحرّك .. ستنفجر الطائرة .

تعلّق (ماركو) بسُلّم من الحبال فى ذعر ، وأخذ يتخبّط يمنةً ويسرةً فى قوة ، والطائرة تهوى نحو الأرض ، ثم قفز قفزة هائلة ، وهبط قرابة الأربعين مترًا ، قبل أن يغوص فى أحد المستنقعات ..

وحاول (ماركو) أن يسبح ، وأن ينجو بنفسه ، إلّا أنه شعر بأنياب حادة تطبق على ساقه ، وتجذبه فى قوة إلى أعماق المستنقع ، فصرخ فى رعب ، وحاول أن يقاوم فى فزع ، إلّا أن (الورل) الضخم اجتذبه إلى قرار المستنقع ، ليضع نهاية لهذا السفّاح الشرس ، الذى أراق دماء المئات ، وزجّ بالآلاف فى المعتقلات والسجون ..

كانت نهاية (ماركو) فى المكان الذى يناسبه ..
فى قرار المستنقع ..

* * *



١٢ ــ الهروب الأخير ..

وصل (ممدوح) ورفيقاه إلى إحدى طائرتى الهليوكوبتر ، واندفع نحوهم ثلاثة من الجنود ، يحملون مدافعهم الرشَّاشة ، فقال (ممدوح) للطيَّار :

ــ عاون الجنرال على الصعود إلى الهليوكوبتر ، واستعد للإقلاع بها ، وسأتولى أنا حمايتكما .

وأطلق رصاصة محكمة أصابت أحد الجنود ، فى حين احتمى الآخران خلف الهليوكوبتر الأخرى ، وأخذا يتبادلان إطلاق النيران معه ، ونجح الطيَّار فى إدارة محرِّك الطائرة ، ودارت مراوحها استعدادًا للإقلاع ، وصاح الجنرال (أسكار) :

ــ هيَّا يا (ممدوح) .. أسرع .

حاول الجنديَّان منع (ممدوح) من الصعود إلى الهليوكوبتر ، ولكنه حسم أمرهما حينما أطلق رصاصاته نحو خزَّان الوقود فى الهليوكوبتر الأخرى ، فانفجرت ، وتناثرت مع شظاياها أشلاء

الجنديَّين ، وقفز (ممدوح) إلى الهليوكوبتر ، التى ارتفعت فى سرعة وابتعدت بأقصى سرعتها ، وهتف الجنرال (أسكار) غير مصدِّق :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد نجونا .. لقد نجونا ..

* * *

هبطت الهليوكوبتر بعد رحلة طويلة فى منطقة جبلية نائية ، وقاد الطيَّار (ممدوح) والجنرال (أسكار) إلى المخبأ السرِّى لرجال المقاومة ، داخل مغارة جبلية عميقة ، وهناك استقبل الثوَّار زعيمهم بهتاف ظافر ، وأسرعوا يضمِّدون جراحه ، وهم يهنئونه على نجاته من معتقل (جدوانّ) ..

وبعد ثلاثة أيام وصل (جيلان) ، وصديقه الخبير بأساليب التنكُّر ، حيث تم تبديل ملامح (ممدوح) و (أسكار) فى مهارة ، وسلمهما (جيلان) جوازى سفر زائفين ، قائلًا :

ــ لن أخفى عليكما أن الأمر بالغ الخطورة ، فكل أجهزة الأمن فى (لوتشيا) مجنَّدة للبحث عنكما ، والتنكُّر وجوازا السفر المزيفان تضمن خمسين فى المائة فقط من النجاح .

نظر (ممدوح) إلى (أسكار) ، قائلًا :

ــ أعتقد أن الجنرال يوافقنى على أن الأمر يستحق المجازفة .

تطلّع إليه (أسكار) فى امتنان ، وهو يقول :

ــ مهما كانت نتائج هذه المجازفة فأنا أقبلها ، ولكننى أود أن أشكرك من كل قلبى على ما بذلته من جهد وعرق من أجلى ، وما تحمّلته من مخاطر فى سبيل إنقاذى ، لقد أديت عملًا خارقًا ، ولن تنسى (لوتشيا) الحرة صنيعك أبدًا .

* * *

توقّفت سيارة صغيرة أمام مطار (هوران) ، عاصمة (لوتشيا) ، وقال قائد السيارة للجنرال (أسكار) ، قبل أن يغادرها مع (ممدوح) :

ــ لقد حجزنا لكما مقعدين فى الطائرة المتجهة إلى (أثينا) بدلًا من (باريس) ، إمعانًا فى تضليل رجال الأمن والمخابرات ، فهم يعلمون أن (باريس) هى المقر الرئيسى لجبهة المعارضة ، وسيراقبكما بعض رجالنا فى المطار ، حتى يطمئنوا إلى دخولكما الطائرة .

ثم التفت إلى (أسكار) ، وقال فى احترام :

ــ وداعًا أيها الزعيم ، سننتظر عودتك فى القريب العاجل .

أسكار :

ــ أقرب مما تتصوَّر أيها المناضل .. أقرب مما تتصوَّر .

واتّجه (ممدوح) و (أسكار) إلى المطار ، واتجها إلى الطائرة ، حينما هتف صوت صارم فجأة :

ــ انتظر .

التفت (ممدوح) نحو صاحب الصوت فى قلق ، وهو يحاول الاحتفاظ بهدوء أعصابه ، فوجد أحد الركاب يشير إلى حقيبته ، قائلًا :

ــ حقيبتك نصف مفتوحة .

تنهّد (ممدوح) وهو يقول :

ــ شكرًا لك يا سيّدى .

وأسرع يغلق حقيبته ، ثم التفت إلى (أسكار) ، وتنفّس الاثنان الصُّعَداء .

* * *

سأل (ممدوح) الجنرال (أسكار) ، والطائرة تنطلق بهما إلى (أثينا) :

ــ هل ستعود معى إلى مصر ؟

أسكار :

ــ لا يا صديقى ، سأكمل رحلتى إلى (باريس) ، حيث أجتمع بأعضاء اللجنة العليا للتنظيم ، لنتفق على خطة العمل

المقبلة ، ثم أعود بوسيلة ما إلى (لوتشيا) ، حيث أقود رجال المقاومة ، لنبدأ الثورة على نظام (كاميرو) الدكتاتورى المستبد ، ولقد كشفت لى الأحداث الأخيرة عن أمور هامة ، وهى أن مكانى الحقيقى هناك ، بين صفوف الثوّار ، وليس كلاجئ سياسى ، ولا حتى زعيم سياسى يقود المقاومة من آلاف الأميال .. لقد آن الأوان لأشعر أننى أؤدّى عملاً حقيقيًا لبلادى ، من داخل وطنى .

ممدوح :

ـــ كما تحبّ يا جنرال ، وتذكّر دائمًا أن مصر تفتح ذراعيها لك فى أية لحظة .

ابتسم (أسكار) ، قائلاً :

ـــ أريد منك أن تنقل شكرى وامتنانى إلى الحكومة المصرية ، على كل ما فعلته من أجلى ، سواء فى أرضها ، أو بعد اعتقالى ، وسأظل أبد الدهر مدينًا لك ، ولمصر ، وطنى الثانى .

* * *

بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى باريس ، أدلى الجنرال (أسكار) بحديث صحفى طويل ، شرح فيه عملية اختطافه فى القاهرة ، ونقله إلى معتقل (جدوان) ، حيث لاقى أهوالاً

من العذاب ، وأشاد بالجهود التى بذلتها أجهزة الأمن المصرية ، وعلى رأسها إدارة العمليات الخاصة لإنقاذه ، ومساعدته على الهرب ، وأفاض فى شرح الدور الرائع الذى قام به (ممدوح) ، دون أن يذكر اسمه ، طبقًا للاتفاق السابق بينهما ، وفى الطائرة التى أقلّت (ممدوح) إلى (أسوان) ليقضى بها إجازة قصيرة بعد نجاحه فى مهمته ، أخذ الراكب المجاور له يطالع الصحف فى اهتمام ، ثم ارتسمت على وجهه أمارات الإعجاب ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلاً :

ـــ هل قرأت الخبر المكتوب عن بطولة الضابط المصرى ، ومغامرته الشجاعة فى (لوتشيا) ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

عاد الرجل يتصفّح الجريدة ، قائلاً :

ـــ إن المرء ليشعر بالفخر ، حينما يعلم أن لدينا رجالاً شجعانًا من هذا الطراز .

ممدوح :

ـــ أعتقد أنهم كثيرون .

سأله الرجل فى فضول :

ــ ألا تتمنى فى قرارة نفسك أن تصبح مثله ؟

اصطنع (ممدوح) الدّهشة ، قائلاً :

ــ أنا ؟!.. لا .. إننى رجل مسالم ، لا أميل للمخاطرة والعنف .

وافقه الرجل بهزة من رأسه ، وقال :

ــ لقد خمّنت ذلك من الوهلة الأولى ، فمظهرك الهادئ يؤكد أنك لست من ذلك الطراز من الرجال .. و ..

ابتسم (ممدوح) ، وأغلق عينيه فى استرخاء ، وترك الرجل يسترسل فى حديثه الطويل .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠



المؤلف

ا . شريف شوقى

• اختطـاف الجنـرال •

وفى اللحظة التى انتبهوا فيها لما حدث ، كان (ممدوح) قد التقط المدفع الآلى ، الذى سقط من الجندى ، واندفع نحو الباب الخلفى من المعتقل ، وهو يمطر الجنود الذين شلَّتهم المفاجأة بوابل من النيران .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

٢٩

العدد القادم

مثلث الرعب

الثمن فى

أمريكيا
فى سائر
الدول
العربيـة
والعـالم